منهج الهدي النبوي

في كيفية التعاطي مع الوباء عند نزوله

أ.م.د. وميض فارس صعب

جامعة تكريت

المقدمة.

لا شك في أن الوباء الفتاك إذا انتشر في مجتمع ما، فإنه لا يخصُّ ديناً دون دين، ولا يختار عنصراً دون عنصر، ولكنها يؤثر سلباً على حياة العموم من الناس في المجتمع، لذا، فإنه سيظهر لنا جلياً – من خلال صحائف هذا البحث المتواضع – مدى إبداع منهج الهدي النبوي من خلال إرشاداته القيمة وما فيها من أبعاد علاجية معنوية خاصة بالأفراد والمادية للمجتمعات في كيفية التعاطي مع ذينك الوباء، وحرصه – منذ بداية نزوله – على توعية الراعية والرعية لمخاطره، وتفادي وقوعها وخصوصاً الماس منه بسلامة أجسادهم وأرواحهم ونحن إذا كنا مأمورين في الأصل بالسير على هدى المنهج الهدي النبوي وإرشاداته المنيفة ومعرفته في وقت الرخاء، فإن الحاجة إلى ذلك تقوى وتشتد أكثر عند الشدة ونزول الوباء، وخصوصاً في واقعنا المعاصر، فقد جاء الهدي النبوي بمنهج فريد في هذا الصدد، إذ ورد في السنَّة النبوية الكثير من الإرشادات الصحية ونحوها التي لها أبعاد علاجية معنوية ومادية على حد سواء، والتي تدعو إلى المحافظة على القوة الجسمانية للفرد المسلم، وحمايتها من التعرض لخطر الأوبئة المتعددة، وجعل هذا الفرد سليماً قوياً، غير منهوك ولا هزيل، قال النبيﷺ:«**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**»، علاوة على ذلك، فإن النبيﷺ كثيراً ما كان يكثر من الدعاء بالعافية، ويأمر بذلك، فيقول:«**سَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا**».

– **تقسيم البحث:** وتحت البحث تمهيد وفصلان وذلك على النحو الآتي:

التمهيد: ملول كلمة وباء.

– **الفصل الأول:** إطلالة وجيزة على أسباب نزول الوباء.

– **المبحث الأول:** أسباب طبيعية لنزول الوباء.

– **المبحث الثاني:** أسباب دينية لنزول الوباء.

– **الفصل الثاني:** الهدي النبوي ومنهجه وكيفية تعاطيه مع نزول الوباء.

– **المبحث الأول:** منهج البُعد العلاجي المعنوي الخاص بالأفراد النازل بهم الوباء.

– **المطلب الأول:** إرشادات إيمانية للأفراد النازل بهم الوباء.

– **المطلب الثاني:** إرشادات تعبدية للأفراد النازل بهم الوباء.

– **المبحث الثاني:** منهج البُعد الوقائي والعلاجي المادي الخاص بالمجتمعات النازل بها الوباء.

– **المطلب الأول:** الاستعانة بوسائل العلاج المتاحة من الوباء(التداوي).

– **المطلب الثاني:** الوقاية الصحية بالطهارة والنظافة من الأوبئة والأمراض.

– **الخاتمة.**

– **قائمة المصادروالمراجع.**

– **التمهيد: مدلول كلمة الوباء**

– البند الأول: الوباء في اللغة:قال الجوهري[١]:«الوَبَاء – يُمَدُّ ويُقصَر – : مرضٌ عام، وجمْعُ المقصور: أوباءٌ، وجمْعُ الممدود: أوْبِئة، وقد وُبِئَت الأرض تُوْبَأُ وَبَأً، فهي مَوبوءةٌ، ووبِئَتْ تَوْبَأُ وتَيْبَأُ وَبَأءَةً، فهي وَبِئَةٌ ووَبِيْئَةٌ – على فَعِلَةَ وفَعِيْلَةَ – وَأَرْض وَبِئة، إذا كثر مَرضُها»[٢].

– البند الثاني: الوباء في الاصطلاح:

١– الوباء شرعاً:قال الخرشي[٣]: «هو كل مرض عام»[٤]، ثم نقل تعريف البعض للوباء بأنه:«مرض الكثير من الناس في جهة من الأرض دون سائر الجهات، ويكون مخالفاً للمعتاد من الأمراض في الكثرة وغيرها، ويكون نوعاً واحداً»[٥]

٢– الوباء طبياً: **أ**– قال الطبيب ابن النَّفيس[٦]:«هو فساد يعرض لجوهر الهواء لأسباب سماوية أو أرضية، كالشهب والرجوم في آخر الصيف، والماء الآسن[٧]، والجيف الكثيرة، كما في الملاحم»[٨]**ب**– قال الطبيب ابن سينا[٩]:«هو فساد جوهر الهواء الذي هو مادة الروح وممده، ولذلك لا يمكن حياة شيء من الحيوان بدون استنشاقه»[١٠].

ج– قال الطبيب داود الأنطاكي[٩]:«هو تغيّر الهواء بالعوارض العلوية، كاجتماع كواكب ذات أشعة، والسفلية كالملاحم، وانفتاح القبور، وصعود الأبخرة الفاسدة...، وله علامات: منها الحُمّى، والجُدري، والنَّزلات، والحِكَّة، والأوْرَام، وغير ذلك»[١٠].

د– قالت الموسوعة الحديثة:«هو مرض يصيب عدداً كبيراً من الناس في منطقة واحدة، في مدة قصيرة من الزمن، فإن أصاب المرض

هـ– قالت منظمة الصحة العالمية[١٢]:«إنه الجائحة التي تنتشر في جميع أنحاء العالم، أو على مساحة واسعة للغاية عابرة للحدود –

الفصل الأول: إطلالة وجيزة على أسباب الوباء.

أدَّى غياب المعرفة العلمية الدقيقة إلى تباين آراء الأطباء والفقهاء في شأن أسباب الوباء، بل إنهم قد ذهبوا مذاهب شتى في تفسير هذه الأسباب، وتراوحت آراؤهم ما بين تعليلات ربطت بين فساد الهواء في الطبيعة وظهور الوباء، وبين تعليلات ركز عليها الفقهاء تتلخص في عدم التقيد بأهداب منهج الهدي النبوي، وهاكم طائفة من هذه الأسباب سنعرضها من خلال مبحثين اثنين على النحو الآتي:

– **المبحث الأول:** أسباب طبيعية لنزول الوباء.

– **المبحث الثاني:** أسباب دينية لنزول الوباء.

– **المبحث الأول:** أسباب طبيعية لنزول الوباء.

هناك أسباب عدة طبيعية يمكن أن تنزل الوباء ببني آدم، منها:

– السبب الأول: ما بينه ابن النَّفيس بقوله:«إن الوباء: فساد يعرض لجوهر الهواء لأسباب سماوية أو أرضية، كالماء الآسن، والجيف الكثيرة، كما في الملاحم[١] إذا لم تُدفن القتلى، ولم تُحرق، والتربة الكثيرة النزّ[٢]، فإذا كثرت الشُّهب والرُّجوم في آخر الصيف، وفي الخريف أنذر بالوباء، وكذلك إذا كثرت الجنوب[٣] والصّبا[٤] في الكانونين[٥]، وإذا كثرت علامات المطر، ولم تمطر، وتكرر ذلك فمزاج الشتاء فاسد، وإذا كان الربيع قليل المطر بادراً، ثم رأيت الجنوب تكثر وتكدَّر الهواء أياماً، ثم صفى أسبوعاً، ثم حدث وقْدة[٦] وغُمة وكدورة، وبرد ليل، فقد جاء الوباء..، وإذا كان الصيف قليل الحرارة، وبدأ تغير الأشجار، وجاءت في الخريف نيازك وشهب، فتوقع الوباء، هذا إذا كان لأسباب سماوية. وأما الأرضية، فأنت ترى الحشرات والضفادع قد كثرت، وهربت الحيوانات الذكية كال

، وهربت الفأرة من جُحرها سِدَرَة[٨] ملقاة، فالوباء قريب»[٩].

– السبب الثاني: إن الوباء قد ينجم عن كثرة القتلى في ميادين الحرب، وتعذر دفنها، وبالتالي تفسخها، فأثار ذلك الميكروبات في الجو، مما يؤدي إلى انتشار الوباء، وهذا ما حصل في طاعون الشام[١٠]، فقد أدت كثرة القتلى – وقتئذ –الأمراض والأوبئة بشكل فعّال وقتَّال[١١].

– **المبحث الثاني:** أسباب دينية لنزول الوباء.

هناك أسباب عدة دينية يمكن أن تنزل الوباء ببني آدم، منها:

– السبب الأول: أنه عقاب إلهي جماعي يُصيب الناس جراء انشغالهم بالدنيا، وانهماكهم في الملذات والمعاصي، وإهمالهم الفروض والطاعات، وبسبب المنكرات التي يقترفونها [١٢]، ذلك أن كل مصيبة حدثت هي من كسْب ابن آدم[١٣]، كما قال اللهعَزَّوَجَلَّ:**چ ى ي ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ چ**[١٤]، وقريب منه قول اللهسُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: **چي ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخبم بى بي تج تح تخچ**[١٥]، قال الشوكاني[١٦]: «والتعريف بـ(الفساد) يدل على الجنس، فيعم كل فساد واقع في حيزي البرّ والبحر، قال السُّدي[١٧]: الفساد هو الشرك، وهو أعظم الفساد، ويمكن أن يقال: إن الشرك وإن كان الفرد الكامل في أنواع المعاصي، ولكن لا دليل على أنه المراد بخصوصه، وقيل: الفساد كساد الأسعار، وقلة المعاش، وقيل: الفساد قطع السبل، والظلم، وقيل: غير ذلك مما هو تخصيص لا دليل عليه، والظاهر من الآية ظهور ما يصح إطلاق اسم الفساد عليه، سواء كان راجعاً إلى أفعال بني آدم، من: معاصيهم، واقترافهم السيئات وتقاطعهم، وتظالمهم، وتقاتلهم، أو راجعاً إلى ما هو من جهة اللهسُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بسبب ذنوبهم، كالقحط، وكثرة الخوف، والمَوَتان[١٨]، ونقصان الزرائع، ونقصان الثمار»[١٩]، وقوله: **چ تج تح چ**، معناه:«أي لعلهم يتوبون ويرجعون عمَّا هم عليه من المعاصي والآثام»[٢٠].

السبيل لجلب الأوجاع والأوبئة، بقوله:**چ ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆئۈ چ**[٢١]، وفي هذه الآية«وجهان: الأول: يريد سرّ الزنى، وهو الذي يقع على سبيل العشق والمحبة، وما ظهر منها بأن يقع علانية. والثاني: أن يراد بما ظهر من الزنى الملاسمة والمعانقة، وما بطن الدخول»[٢٢].ومن الملاحظ أن«النهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهي عن مجرد فعلها، فإنه يتناول النهي عن مقدماتها، ووسائلها الموصلة إليها»[٢٣]. وهاكم طائفة من الأحاديث الشريفة:

– الحديث الأول: عن ابن عمر[٢٤] رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا أن النبيﷺ قال:**«يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ! خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ[٢٥] فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ[٢٦] الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ[٢٧]، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ[٢٨]، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ[٢٩]، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ[٣٠] مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي**

أَيْدِيهِمْ[٣١]، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ[٣٢] بَيْنَهُمْ»[٣٣].والواقع أن هذه العقوبات الخمس – للأسف الشديد – شاخصة في مجتمعاتنا المعاصرة، يكاد المرء يراها حيث وقع بصره، فنحن نشهد اليوم ما يؤكد صدق هذا الخبر النبوي، وأن في طليعة هذه المهلكات – التي ألمع إليها هذا الحديث – ظهور الفاحشة بين أفراد المجتمع وإعلانها على الملأ، ذلك أن من أهم طرق تدمير المجتمعات إشاعة الفاحشة في أكنافها، وسيادة الانحراف في أوساطها، وتحطيم سياج القيم والأخلاق لديها، الأمر الذي مهد ويمهد لإصابتها بأخطر الأمراض الفتاكة التي لا علاج لها، وفي طليعتها، في عصرنا الحالي، مرض فقْد المناعة(الإيدز)، إذ إن ٩٠ بالمائة من حالاته سببها ارتكاب الفاحشة وممارستها[٣٤].

– الحديث الثاني: عن بُرَيْدَةَ[٣٥] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبيﷺ قال:«مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ قَطُّ، إِلَّا كَانَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ، وَلَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، وَلَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ، إِلَّا حَبَسَ اللهُ عَنْهُمُ الْقَطْرَ»[٣٦]وروي عن ابن مسعود[٣٧] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال:«إِذَا بُخِسَ الْمِكْيَالُ حُبِسَ الْقَطْرُ، وَإِذَا كَثُرَ الزِّنَى وَقَعَ الطَّاعُونُ، وَإِذَا كَثُرَ الْهَرْجُ كَثُرَ الْقَتْلُ»[٣٨]ومما يروى – في هذا الباب – :«أن رجلاً كان يقال له: بلعام، كان مجاب الدعوة، وأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام، فأتاه قومه، فقالوا: ادع الله عليهم، فقال: حتى أوامر ربي، فوامر، فقيل له: لا تدع عليهم، فإنهم عبادي، ونبيهم معهم، فأعدوا له هدية، فقبلها، ثم راجعوه، فقال: حتى أوامر ربي، فوامر فلم يرجع إليه بشيء، فقالوا: لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الأولى، فأخذ يدعو عليهم، فيجري على لسانه الدعاء على قومه، وإذا أراد أن يدعو لقومه دعا أن يُفتح لموسى وجيشه فلاموه، فقال: ما يجري على لساني إلا هكذا، ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون في هلاكهم، إن الله يبغض الزنى، وإنهم إن وقعوا في الزنى هلكوا به، فاخرجوا النساء فلتستقبلهم، فإنهم قوم مسافرون، فعسى أن يزنوا فيهلكوا، ففعلوا فوقعوا في الزنى، فأرسل الله على بني إسرائيل الطاعون، فمات منهم سبعون ألفاً»[٣٩].

– السبب الثاني: أن الوباء – والمراد هنا وباء الطاعون – عذاب أو رجز في القرآن الكريم والسنَّة النبوية:

– أولاً: في القرآن الكريم:وردت آيات قرآنية عدة تدل على أن الطاعون عذاب أو رجز أُرسل على طائفة بني إسرائيل، وهاكم طائفة من هذه الآيات الكريمة:

– الآية الأولى: قال اللهعَزَّوَجَلَّ:چچ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ چ[٤٠].قال ابن الجوزي[٤١]:«إن(الطوفان) قد وردت فيه أقوال عدة، منها:

– القول الأول: أنه الماء: قال ابن عباس[٤٢] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:«أُرسل عليهم مطر دائم الليل والنهار ثمانية أيام»، وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبير[٤٣]، وقتادة[٤٤].

– القول الثاني: أنه الموت: كما روت ذلك السيدة عائشةرَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن النبيﷺ[٤٥]، وبه قال مجاهد[٤٦]، وعطاء[٤٧]، ووَهْبِ بن مُنَبِّهٍ[٤٨].

– القول الثالث: أنه الطاعون، نُقل عن مجاهد ووهب أيضاً»[٤٩]. وقال وهب:«الطوفان: الطاعون بلغة أهل اليمن»[٥٠].

– الآية الثانية: قال اللهسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: چ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ چ[٥١].قال الشَّعبي[٥٢]:«(الرجز) هنا: إما الطاعون، وإما البرد»[٥٣]، وقال سعيد بن جبير:«(الرِّجْزُ) معناه هاهنا: الطاعون، وهو أصابهم، فمات به من القبط سبعون ألف إنسان في يوم واحد، فأمسوا وهم لا يَتَدَافَنُونَ»[٥٤].

– الآية الثالثة: قال اللهتَبَارَكَ وَتَعَالَى: چ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ چ[٥٥].أي:«فأرسلنا عليهم عذاباً من السماء، بسبب ظلمهم وعدوانهم المستمر سابقاً ولاحقاً»[٥٦]، قال أبو السعود[٥٧]:«المراد بالعذاب الطاعون، وقد روي أنه مات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً»[٥٨].– الآية الرابعة: قال اللهسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ چ[٥٩]، قال السُّدي:«كانت قرية يقال لها: دَاوَرْدَانَ[٦٠] من قِبَل واسط[٦١]، وقع بها الطاعون، فخرجت طائفة منها، وبقيت طائفة، فهلك أكثر من بقي في القرية، وسلم الذين خرجوا، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين بقوا: أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا، ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن إلى أرض لا وباء بها، فوقع الطاعون من قابل[٦٢]، فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا وادياً أفْيَح[٦٣]، فلما نزلوا المكان، الذي يبتغون فيه النجاة، ناداهم ملك من أسفل الوادي، وآخر من أعلاه: أن موتوا، فماتوا جميعاً»[٦٤]، قال ابن كثير[٦٥]:«وفي هذه القصة عبرةٌ على أنه لا يغني تحذرٌ من قدر، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه»[٦٦].

– ثانياً: في السنَّة النبوية:وردت أحاديث نبوية عدة تدل على أن الطاعون عذاب يبعثه الله على من يشاء، أو رجز أرسله على طائفة من بني إسرائيل، وهاكم طائفة من هذه الأحاديث الشريفة:

– الحديث الأول: عن السيدة عائشةرَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أنها قالت: سألت رسول اللهﷺ عن الطاعون، فأخبرني«**أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ...**»(٦٧).

– الحديث الثاني: عن أسامة بن زيد(٦٨) رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن النبيﷺ قال:«**هُوَ عَذَابٌ أَوْ رِجْزٌ أَرْسَلَهُ اللهُ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ نَاسٍ كَانُوا قَبْلَكُمْ**»(٦٩). قال الطيبي(٧٠):«هم الذين قيل لهم:**ﭽﮑ ﮒﭼ**(٧١)، فخالفوا، قال اللهعَزَّوَجَلَّ: **ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ**(٧٢)» (٧٣)، وقال ابن الملك(٧٤):«أرسل الله عليهم الطاعون، فمات منهم في ساعة أربعة وعشرون ألفاً من شيوخهم وكبرائهم، وأراد بـ(الباب) باب القبة التي يُصلي إليها موسىعَلَيۡهِٱلسَّلَامُ ببيت المقدس، أو على من كان قبلكم»(٧٥)، وقال النووي(٧٦):«وكونه عذاباً مختص بمن كان قبلنا. وأما هذه الأمة، فهو لها رحمة وشهادة كما بيّن في الأحاديث الصحيحة»(٧٧).

– الحديث الثالث: عن سعد بن أبي وقاص(٧٨)رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن النبيﷺ سئل عن الطاعون، فقال:«**رِجْزٌ، أَوْ عَذَابٌ، عُذِّبَ بِهِ بَعْضُ الأُمَمِ، ثُمَّ بَقِيَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ، فَيَذْهَبُ المَرَّةَ وَيَأْتِي الأُخْرَى، فَمَنْ سَمِعَ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ يُقْدِمَنَّ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ بِأَرْضٍ وَقَعَ بِهَا فَلاَ يَخْرُجْ فِرَاراً مِنْهُ**»(٧٩).

– **حواشي الفصل الأول:**

(١) أي: المعارك الطاحنة الكبيرة.

(٢) أي: الرطبة.

(٣) الجنوب: الريح تهب من جهة الجنوب.

(٤) الصبا: ريح من الشرق إذا استوى الليل والنهار، أي في الاعتدال الربيعي والخريفي.

(٥) الكانونان: كانون الأول والثاني، وهما أشهر البرد والشتاء.

(٦) الوقد: النار واتقادها، والمراد: شدة حرارة النهار.

(٧) اللقلق: طائر كبير الحجم، وهو يمتلك أرجل طويلة، وعنق طويل، ومنقار طويل أيضاً.

(٨) سِدَرَة: مسدورة أصابها السدر والخَدَر وفقدان الإدراك، وأصابها مثل الغشي، أو شدة السكر.

(٩) ابن النفيس، **الموجز في الطب**، ص٣٠٤.

(١٠) انظر: رضا، **الفاروق عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين**، ص١٥٠، النجار، **الخلفاء الراشدون**، ص٢١٩.

(١١) انظر: عبدالله، **طاعون عمواس**، ص٢٩٨.

(١٢) انظر: الدسوقي، **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، ٣٠٨/١.

(١٣) مما يروى ذلك: أنه في عهد بيركليس – الذي حكم أثينا بين عامي ٤٦٢–٤٢٩ ق.م، وكان عهداً ديمقراطياً – شاع الانحلال الخُلُقي، وفوضى العلاقات الجنسية، وأصبحت أموراً معترفاً بها تمارس بلا حياء ولا وازع، ففسدت الأخلاق، وسلَّط الله عليهم الطاعون سنة ٤٢٩ ق.م، فهلك به ما لا يقل عن ربع السكان، وكان أولاد بيركليس أول من هلك بذلك الطاعون، ثم هلك هو نفسه به في السنة التالية.

(١٤) الشورى: ٣٠.

(١٥) الروم: ٤١.

(١٦) هو: محمد بن علي بن عبدالله الشوكاني، الخولاني، الصنعاني، أبو عبدالله: مفسر، محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، ومتكلم. ولد بهجرة شوكان، من بلاد خولان، في سنة ١١٧٣هـ، وتوفي بصنعاء في سنة ١٢٥٠هـ، ودفن بخزيمة. من تصانيفه الكثيرة: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، والبدر الطالع بمحاسن من جاء بعد القرن السابع.

(١٧) هو: إسماعيل بن عبدالرحمن السُّدي، القرشي، أبو محمد: مفسر، سكن الكوفة، توفي في سنة ١٢٧هـ. من آثاره: التفسير.

(١٨) الموتان: موت يقع في الماشية.

(١٩) الشوكاني، **فتح القدير**، ٢٦٣/٤.

(٢٠) الصابوني، **صفوة التفاسير**، ٤٤٢/١.

(٢١) الأنعام:١٥١، ونظيره قول اللهعَزَّوَجَلَّ:ﭽ ﭴ ﭵ ﭶﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﭼ[الأنعام: ١٢٠].

(٢٢) الرازي، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ٢٣٢/١٤.

(٢٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٢٧٩.

(٢٤) هو: عبدالله بن عمر بن الخطاب، أبو عبدالرحمن: صحابي. ولد في السنة الثانية من البعثة، وأسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، توفي في سنة ٧٣هـ.

(٢٥) أي: الزنى.

(٢٦) أي: الأمراض.

(٢٧) أي: بالقحط، والمجاعة، وشدة الجدب.

(٢٨) أي: الهموم، والتعب، وغلاء المعيشة.

(٢٩) أي: ظلمه، وليس ذلك بخاف على أحد في عصرنا الحالي.

(٣٠) أي: المطر.

(٣١) أي: أخذوا بعض أموالهم أو أراضيهم.

(٣٢) أي: وقوع الحروب بينهم، وتسلّط بعضهم على بعض.

(٣٣) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، كتاب الفتن، باب: العقوبات، ح:(٤٠١٩).

(٣٤) مرض الإيدز: طاعون فتّاك، ووباء قاتل، لا يمكن مقارنته بالأمراض المستعصية الأخرى، فهو ينتقل بالدرجة الأولى من مريض لآخر عن طريق الاتصال الجنسي القائم على الممارسات الشاذة، كاللواط أو الممارسات الفاحشة، كالزنى والدعارة، أو الممارسات العادية بين الأزواج، إذا كان أحدهما مصاباً بالمرض، كما ينتقل مرض الإيدز عن طريق الحقن الوريدي بين مدمني المخدرات، وبين مرضى الهيموفيليا الذين يقعون ضحية نقل دم ملوث إليهم، ويمكن انتقاله أيضاً إلى المواليد والأطفال عن طريق أم تحمل فيروس المرض أثناء الحمل أو الولادة أو الرضاعة، كما يمكن انتقاله عن طريق الإبر الملوثة وشفرات الحلاقة، إذا سبق أن استخدمها شخص مصاب بالإيدز. وهذا المرض لم يتوصل الأطباء بعد إلى علاج ناجع له، كما أنه من أسرع الفيروسات المعروفة على وجه الأرض تغيراً وتحولاً إلى أشكال جديدة.

(٣٥) هو: بريدة بن الحصيب بن عبدالله بن الحارث، الأسلمي، أبو عبدالله: صحابي، أسلم حين مرَّ به النبيﷺ مهاجراً بالغميم، وقيل: أسلم بعد منصرف النبيﷺ من بدر، توفي بمرو في سنة ٦٣هـ.

(٣٦) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب الجهاد، ح:(٢٥٧٧).

(٣٧) هو: عبدالله بن مسعود الهذلي، أبو عبدالرحمن: من كبار علماء الصحابة، ومن السابقين إلى الإسلام، وقد شهد مع النبيﷺ المشاهد كلها، وكان النبيﷺ يكرمه ويدنيه، توفي بالمدينة في سنة ٣٢هـ.

(٣٨) الداني، **السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها**، باب: ما جاء فيما ينزل من البلاء، ويحل من العقوبة بهذه الأمة، إذا عملت بالمعاصي، واشتهرت بالذنوب، رقم:(٣٢٥).

(٣٩) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ١٨٣/١٠. وقد وردت قصة بلعام في التوراة، وقصة زنى الإسرائيليين بالنساء الموآبيات بصورة مختلفة في التفاصيل عما أورده ابن حجر العسقلاني وغيره. انظر: **الكتاب المقدس**: العهد القديم(سفر العدد: ٢٤: ١ – ٢٥)، ص١٩٥، ١٩٦.

(٤٠) الأعراف: ١٣٣.

(٤١) هو: عبدالرحمن بن علي بن عبيدالله بن جعفر القرشي، التيمي، البكري، البغدادي، الحنبلي، المعروف بـ«ابن الجوزي»، أبو الفرج: محدث، حافظ، مفسر، فقيه، واعظ، أديب، مؤرخ، ومشارك في أنواع أخرى من العلوم. ولد ببغداد في سنة ٥١٠هـ، وتوفي بها في سنة ٥٩٧هـ، من مؤلفاته: المغني في علوم القرآن، والمنتظم في تاريخ الأمم.

(٤٢) هو: عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب، الهاشمي، أبو العباس: صحابي جليل، وهو حبر الأمة. ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم النبيﷺ، ودعا له النبيﷺ، فقال:«**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»، وشهد مع علي الجمل وصفين، وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها في سنة ٧١هـ.

(٤٣) هو: سعيد بن جبير الأسدي، الكوفي، أبو عبدالله: تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق. ولد في سنة ٤٥هـ، وقد أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولما خرج عبدالرحمن بن محمد ابن الأشعث على عبدالملك بن مروان، كان سعيد معه إلى أن قتل عبدالرحمن، فذهب سعيد إلى مكة، فقبض عليه واليها خالد القسري، وأرسله إلى الحجاج، فقتله بواسط في سنة ٩٥هـ.

(٤٤) هو: قتادة بن دعامة بن عمرو بن ربيعة السدوسي، البصري، أبو الخطاب: مفسر، حافظ، وضرير أكمه. ولد في سنة ٦١هـ، وكان مع علمه بالحديث، رأساً في العربية، ومفردات اللغة، وأيام العرب، والنَّسب، توفي بواسط في الطاعون من آثاره: تفسير القرآن.

(٤٥) انظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري**، ٥١/١٣.

(٤٦) هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي: تابعي، مفسر من أهل مكة. ولد في سنة ٢١هـ، كان شيخ القرَّاء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد تنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة، توفي وهو ساجد في سنة ١٠٤هـ. من آثاره: تفسير.

(٤٧) هو: عطاء بن أسلم بن صفوان الجندي بن أبي رباح، أبو محمد: فقيه، مفسر، ومن خيار التابعين. ولد في جَنَد باليمن في سنة ٢٧هـ، ونشأ بمكة، فكان مفتي أهلها ومحدثهم، وتوفي بها في سنة ١١٤هـ. من آثاره: تفسير.

(٤٨) هو: وهب بن منبه اليماني، أبو عبدالله: أخباري، من التابعين، له معرفة بأخبار الأوائل، وأحوال الأنبياء، وسير الملوك، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمه من حمير. ولد بصنعاء في سنة ٢٤هـ، وتوفي بها في سنة ١١٤هـ. من آثاره: قصص الأنبياء، وكتاب الإسرائيليات.

(٤٩) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ١٤٧/٢، ١٤٨.

(٥٠) البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، ٢٢٣/٢.

(٥١) البقرة: ٥٩.

(٥٢) هو: عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي(نسبة إلى شعب بطن من همدان)، الحميري، أبو عمرو: محدث، راوية، فقيه، شاعر. ولد بالكوفة في سنة ١٩هـ، وتوفي بها في سنة ١٠٣هـ. له الكفاية في العبادة والطاعة.

(٥٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير**، ٢٧٧/١.

(٥٤) نقل ابن جرير الطبري في كتابه الموسوم بـ«**تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» (٧١/١٣) عن سعيد بن جبير أنه قال:«أمر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قومه من بني إسرائيل بعد ما جاء قوم فرعون الآيات الخمس: الطوفان وما ذكر الله الآية، فلم يؤمنوا، أو لم يرسلوا معه بني إسرائيل، فقال: ليذبح كل رجل منكم كبشاً، ثم ليخضب كفه في دمه، ثم ليضرب به على بابه، فقال القبط لبني إسرائيل: لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم؟، فقالوا: إن الله مرسل عليكم عذاباً يقتلكم وتهلكون، فأصبحوا وقد طعن من قوم فرعون سبعون ألفاً، فأمسوا وهم لا يتدافنون، فقال فرعون – عند ذلك – لموسى: ادع لنا ربك بما عهد عندك، لئن كففت عنا الرجز – وهو الطاعون – لنؤمنن لك، ولنرسلن معك بني إسرائيل، فدعا ربه، فكشف عنهم». وردت هذه القصة في التوراة المحرفة في سفر الخروج. انظر: **الكتاب المقدس:** العهد القديم(سفر الخروج ١١: ٤ – ٧، ١٢: ٢١ – ٢٤)، ص٧٩ و ٨١.

(٥٥) الأعراف: ١٦٢.

(٥٦) الصابوني، **صفوة التفاسير**، ٤٤٣/١.

(٥٧) هو: محمد بن مصطفى العمادي، الحنفي، أبو السعود: فقيه، أصولي، ومفسر. ولد بقرية بالقرب من القسطنطينية في سنة ٨٩٨هـ، وتوفي بالقسطنطينية في سنة٩٨٢هـ. من تصانيفه: تهافت الأمجاد في فروع الفقه الحنفي، وتحفة الطلاب في المناظرة.

(٥٨) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود**، ٢٨٤/٣.

(٥٩) البقرة: ٢٤٣.

(٦٠) هي من نواحي شرقي واسط، بينهما فرسخ.

(٦١) واسط: مدينة تقوم في وسط السواد بالعراق، بناها الحجاج بن يوسف الثقفي، أمير العراق، لتكون وسطاً بين الكوفة والبصرة والأهواز، فهي على خمسين فرسخاً من كل منها، وكانت تقوم على جانبي نهر دجلة، ثم ابتعد مجرى دجلة عنها بعد ذلك، وتحوَّل إلى مجراه الشرقي المنحدر إلى القرنة، وأصبحت في وسط البرية.

(٦٢) قابِل: عام بعد العام الحاضر.

(٦٣) أي: أوسع.

(٦٤) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري**، ٢٧٠/٥.

[٦٥] هو: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، الشافعي، المعروف بـ«ابن كثير»، عماد الدين، أبو الفداء: محدث، مؤرخ، مفسر، فقيه. ولد بجندل، من أعمال بصرى، في سنة ٧٠١هـ، وتوفي بدمشق في سنة ٧٧٤هـ. من تصانيفه: تفسير القرآن العظيم، والباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث.

[٦٦] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ٥٠٣/١.

[٦٧] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الطب، باب: أجر الصابر في الطاعون، ح:(٥٧٣٤).

[٦٨] هو: أسامة بن زيد بن حارثة، مولى النبيﷺ، وحبه، وابن حبه، صحابي، أمَّره النبيﷺ على جيش فيهم عمر بن الخطاب، وأمره بالمسير إلى الشام، فلما اشتد المرض بالنبيﷺ أوصى أن يسير جيش أسامة، فساروا بعد موته، توفي في سنة ٥٤هـ، ودفن بالمدينة.

[٦٩] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الحيل، باب: ما يُكْرَهُ من الاحتيال في الفرار من الطاعون، ح:(٦٩٧٤)، مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب السلام، باب: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، ح:(٢٢١٨).

[٧٠] هو: الحسين بن محمد بن عبدالله، شرف الدين الطيبي، من علماء الحديث والتفسير والبيان، من أهل توريز، من عراق العجم، كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره، توفي في سنة ٧٤٣هـ. من تصانيفه: الكاشف عن حقائق السنن النبوية، والتبيان في المعاني والبيان.

[٧١] الأعراف: ١٦١.

[٧٢] الأعراف: ١٦٢.

[٧٣] القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ١١٣٣/٣.

[٧٤] هو: عبداللطيف بن عبدالعزيز بن أمين الدين، ابن فرشتا – ومعناه ابن الملك – : فقيه حنفي، أصولي، محدث، وصوفي، توفي في سنة ٨٠١هـ. من مؤلفاته: شرح مشارق الأنوار في صحاح الأخبار للصغاني في الحديث، وشرح المنار للنسفي في أصول الفقه.

[٧٥] ابن الملك، **شرح مصابيح السنة للإمام البغوي**، ٣١٤/٢.

[٧٦] هو: يحيى بن شرف بن مري بن حزام النووي، الدمشقي، الشافعي، محيي الدين، أبو زكريا: فقيه، محدث، حافظ، لغوي، ومشارك في بعض العلوم. ولد بنوى، من أعمال حوران، في سنة٦٣١هـ، وتوفي بها في سنة ٦٧٦هـ. من تصانيفه الكثيرة: الأربعون النووية في الحديث، وتهذيب الأسماء واللغات.

[٧٧] النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم**، ٢٠٤/١٤.

[٧٨] هو: سعد بن أبي وقاص، مالك بن أهيب بن عبدمناف، القرشي، الزهري، أبو إسحاق: صحابي أمير، وفاتح العراق، ومدائن كسرى، كان من المهاجرين الأولين، توفي في قصره بالعقيق، وحمل إلى المدينة، ودفن فيها في سنة ٥٥هـ.

[٧٩] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الحيل، باب: ما يكره من الاحتيال في الفرار من الطاعون، ح:(٦٩٧٤)، مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب الآداب، باب: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، ح:(٢٢١٨).

– **الفصل الثاني:** الهدي النبوي ومنهجه وكيفية تعاطيه مع نزول الوباء.

– **المبحث الأول:** منهج البُعد العلاجي المعنوي الخاص بالأفراد النازل بهم الوباء.

– **المبحث الثاني:** منهج البُعد الوقائي والعلاجي المادي الخاص بالمجتمعات النازل بها الوباء.

– **المبحث الأول:** منهج البُعد العلاجي المعنوي الخاص بالأفراد النازل بهم الوباء.

– **المطلب الأول:** إرشادات إيمانية للأفراد النازل بهم الوباء.

– **المطلب الثاني:** إرشادات تعبدية للأفراد النازل بهم الوباء.

– **المطلب الأول:** إرشادات إيمانية للأفراد النازل بهم الوباء.

هناك إرشادات عدة في هذا الصدد، سنذكر منها:

– **الإرشاد الأول:** تذكير الفرد بضرورة الإيمان بقضاء الله وقدره: لا شك في أن هذا الإيمان يجعل الفرد المصاب بالوباء تسمو به الحال، فينزل إلى منزلة الرضا، فمن رضي عن الله رضي الله عنه، ولذلك كان الرضى باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين، وقرَّة عيون المشتاقين، قال ابن قيم الجوزية:«إن من ملأ قلبه من الرضا بالقدر، ملأ الله صدره غنى وأمناً وقناعة، وفرغ قلبه لمحبته، والإنابة

إليه، والتوكل عليه، ومن فاته حظه من الرضى، امتلأ قلبه بضد ذلك، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه؛ فالرضى يفرغ القلب لله، والسخط يفرغ القلب من الله»[1]ذلك أن هذا الفرد متى آمن بقضاء وقدره على الوجه الصحيح، فقد تحقق توحيده، وزاد إيمانه، وسار على هدى ربه، لأن الإيمان بالقضاء والقدر من الاهتداء، قال اللهعَزَّوَجَلَّ: چٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ چ[2]، قال علقمة[3]:«هو الرَّجل تُصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند اللهعَزَّوَجَلَّ، فَيُسلِّم لها ويرضى»[4].إن الارتكان على الأقدار – في مثل هذه المواضع – أمر مشروع محمود، لأن في الإحالة على القضاء والقدر – الذي لا يد للفرد فيه ولا اختيار – له أثره الإيجابي الفعَّال في نفس الفرد، فهو يخفف عنها لوعة الأسى على ما فاتها، والحزن على ما أصابها، قال اللهتَبَارَكَوَتَعَالَى:چے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ[5].

وإذا كان قضاء الله وقدره نافذ: رضي الفرد أم سخط، صبر أم جزع، فإن الفرد العاقل ينبغي أن يصبر ويرضى، حتى لا يحرم المثوبة، وإلا سينتهي – رغماً عنه – إلى صبر الاضطرار، الذي ليس له قيمة خلقية ولا دينية[6]، ذلك أن العاقل«يصبر اختياراً لعلمه بحسن عاقبة الصبر، وإنه يحمد عليه، ويذم على الجزع، وإنه إن لم يصبر لم يرد الجزع عليه فائتاً، ولم ينتزع عنه مكروهاً، وإن المقدور لا حيلة في دفعه، وما لم يقدر، فلا حيلة في تحصيله؛ فالجزع ضره أقرب من نفعه»[7]. وبموازاة ذلك، فإن الفرد الذي لا يؤمن بالقضاء والقدر يصيبه اليأس، ويدب إلى نفسه القنوط، فإذا أصيب بوباء ما، ظن أنه قاصم ظهره، وإذا نزلت به نازلة ما، حسب أنها نهاية أمره، قال النبيﷺ:**«كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ، فَجَزِعَ[8]، فَأَخَذَ سِكِّيناً فَحَزَّ[9] بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ[10] حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللَّهُتَبَارَكَوَتَعَالَى: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ»**[11]. أما الفرد المؤمن بالقضاء والقدر، فلا يعرف اليأس، ولا يُرى إلا متفائلاً في جميع أحواله، منتظراً الفرج من ربه، عالماً بأن النصر مع الصبر، وأن مع اليسر يسراً، مستشعراً قول النبيﷺ:**«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ[12]»**[13].ويترتب على تذكير الفرد المصاب بالإيمان بقضاء الله وقدره – في هذا الباب – الأثر الإيجابي الفعَّال المنعكس على نفسه، والذي يكمن في جعله يشعر في راحة ورضى عن اللهعَزَّوَجَلَّ، فهو الذي أعطى كرماً منه وتفضلاً، وهو الذي يأخذ عدلاً منه وحكمة، لذا، فإن الفرد المصاب متى فهم المعنى الحق للقضاء والقدر، وآمن به إيماناً راسخاً من غير جزع فيه، ولا شكوى منه، هدأت نفسه، وقرَّت عينه، لأن أدرك تمام الإدراك قول النبيﷺ:**«لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»**[14]، وقول النبيﷺ:**«عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ»**[15].ومعنى قوله:**«وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ»**، أي: ما يضره في بدنه، أو ما يتعلق به من أهل، أو ولد، أو مال، وقوله:**«صَبَرَ»**، أي: صبر واحتسب ذلك عند الله رجاء ثوابه، ورضي به، نظراً لكونه فعل مولاه الذي هو أرحم به، وقوله: **«فَكَانَ»**، أي: صبره في الضراء، **«خَيْراً لَهُ»**، لأنه حصل له بذلك خير الدارين – وهي المنزلة الرفيعة – أما غير كامل الإيمان، فإنه يتضجر ويتسخط من المصيبة، فيجتمع عليه نصبها، ووزر سخطه[16].والواقع أن الوصف النبوي – أي وصف الفرد المؤمن العجيب، نظراً لما يتحلَّى به هذا الفرد، سواء أكان مبتلى أم معافى – هو مقتبس من نور الآية الكريمة: چ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ چ[17].حصيلة ما تقدم: إنه قد اتضح لنا كيفية تعاطي الهدي النبوي مع واقع الفرد المصاب، فهو قد بدأ في علاجه من داخل النفس، بأن يعمر قلبه بالإيمان، والتسليم لقضاء الله وقدره: بخيره وشره، علم ذلك أم لم يعلم، وبالتالي، فإنه متى تحقق ذلك في داخله: سكن قلبه، واطمأنت نفسه، وارتاح باله، لأن بصيرته قد اكتحلت بحقيقة الإيمان واليقين، وحَيَت روحه بالوحي والتنزيل، وتلقى أقدار اللهعَزَّوَجَلَّ بصدر واسع، منشرح، ومُسَلِّم للشافي المعين: رب العالمين.

– الإرشاد الثاني: البيان والإيضاح له أن الله قد ضمن له استمرار أجره، طالما هو عاجز عن عمل الطاعة: لا ريب في أن الفرد المصاب عندما يعجز عن عمل الطاعة، الذي كان مداوماً عليه قبل الإصابة بالوباء، يحزن لما يفوته من الثواب، وإزاء ذلك، فقد كان من المفيد البيان والإيضاح بأن اللهتَبَارَكَوَتَعَالَى قد ضمن له استمرار أجره على عمل الطاعة، طالما وهو على هذه الحال، لأن ذلك يخفف عنه مصابه، وما هو فيه من بلاء، قال النبيﷺ:**«إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيماً صَحِيحاً»**[18].

ويتفرع عن ذلك أن من كان يقوم الليل، ويطيل القيام، فأصيب بوباء الطاعون، فعجز عن القيام، أو عن التهجد، كُتب له أجره، وكذا إذا كان كثير الصدقة من كسب يده، فأصيب بذلك الوباء، وتعطَّل عن الكسب والصدقة، فله مثل أجره حسب نيته، وكذا لو عجز عن الجهاد بسبب وبائه، أو عن الحج ونحو ذلك، فهو بنيته وقصده.وهاكم طائفة من الأحاديث الشريفة:

– الحديث الأول: قول النبيﷺ:«**مَا مِنْ مُسْلِمٍ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ إِلَّا كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي صِحَّتِهِ، مَا كَانَ مَرِيضاً، فَإِنْ عَافَاهُ عَسَلَهُ**[١٩]، **وَإِنْ قَبَضَهُ غَفَرَ لَهُ**»[٢٠].

– الحديث الثاني: قول النبيﷺ:«**إِذَا ابْتَلَى اللهُ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ، قَالَ لِلْمَلَكِ: اكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، فَإِنْ شَفَاهُ، غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ، وَإِنْ قَبَضَهُ، غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ**»[٢١].

– الحديث الثالث: قول النبيﷺ:«**عَجَبٌ لِلْمُؤْمِنِ وجَزَعِهِ مِنَ السَّقَمِ، وَلَوْ يَعْلَمُ مَا لَهُ فِي السَّقَمِ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ سَقِيماً الدَّهْرَ**»، ثم رفع رسول اللهﷺ رأسه إلى السماء وضحك، فقيل: يا رسول الله! مم رفعت رأسك إلى السماء فضحكت؟، فقال:«**عَجِبْتُ مِنْ مَلَكَيْنِ كَانَا يَلْتَمِسَانِ عَبْداً فِي مُصَلًّى كَانَ فِيهِ، وَلَمْ يَجِدَاهُ، فَرَجَعَا، فَقَالَا: يَا رَبَّنَا، عَبْدُكَ فُلَانٌ كُنَّا نَكْتُبُ لَهُ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ عَمَلَهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، فَوَجَدْنَاهُ قَدْ حَبَسْتَهُ فِي حِبَالِكَ فَقَالَ اللَّهُتَبَارَكَوَتَعَالَى: اكْتُبُوا لِعَبْدِي عَمَلَهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ، وَلَا تُنْقِصُوا مِنْهُ شَيْئاً، وَعَلَيَّ أَجْرُ مَا حَبَسْتُهُ، وَلَهُ أَجْرُ مَا كَانَ يَعْمَلُ**»[٢٢].

– الحديث الرابع: قول النبيﷺ:«**مَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُصَابُ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ، إِلَّا أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى الْحَفَظَةَ**[٢٣] **الَّذِينَ يَحْفَظُونَهُ، قَالَ: اكْتُبُوا لِعَبْدِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ مِنَ الْخَيْرِ، مَا دَامَ مَحْبُوساً فِي وَثَاقِي**[٢٤]»[٢٥].حصيلة ما تقدم: إنه قد اتضح لنا كيفية تعاطي الهدي النبوي مع الفرد المصاب، وما ينجم عن ذلك من أثر نفسي إيجابي في واقعه، فقد بيَّن النبيﷺ للفرد المصاب مدى سعة فضل الله عليه، وإنه إذا ابتلاه اللهتَبَارَكَوَتَعَالَى مما يقعده عما كان يعمل في صحته من أعمال الخير، فإنهعَزَّوَجَلَّ يأمر ملائكته باستمرار كتابة تلك الأعمال التي كان يعملها، فلا ينقطع عنه أجرها.

– **الإرشاد الثالث:** ترسيخ اعتقاده وإيمانه، وتقوية إدراكه، بأن الوباء يطهره من الذنوب، ويرفع به درجته. لا شك في أن الفرد المصاب عندما يعتقد ويؤمن ويدرك تمام الإدراك أن اللهسُبْحَانَهُوَتَعَالَى ابتلاه بهذا الوباء، ليطهره من الذنوب، فضلاً عن تكفير السيئات، ويرفع به درجته، حتى يلقى اللهتَبَارَكَوَتَعَالَى معافى، فإن ذلك مما يعزيه، ويرضيه، ويهوّن عليه، وذلك لأن الابتلاء بالأوبئة طب إلهي يداوي الله به العبد من أدْواء الذنوب المهلكة[٢٦].وهاكم طائفة من الأحاديث الشريفة:

– الحديث الأول: قول النبيﷺ:«**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذىً، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**»[٢٧].

– الحديث الثاني: قول النبيﷺ:«**مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ حَتَّى الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ**»[٢٨].– الحديث الثالث: قول النبيﷺ:«**مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ**[٢٩]، **وَلاَ وَصَبٍ**[٣٠]، **وَلاَ هَمٍّ، وَلاَ حُزْنٍ**[٣١]، **وَلاَ أَذىً، وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا**[٣٢]، **إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**» ويُستشف من هذا الحديث النبوي الشريف أنه قد«جمع كل الآلام الإنسانية: بدنية، نفسية، ماضية، حاضرة، متوقعة في المستقبل، ظاهرة، وخفية»[٣٤].– الحديث الرابع: قول النبيﷺ:«**إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا مَا يَقُولُ لِعُوَّادِهِ، فَإِنْ هُوَ إِذَا جَاءُوهُ حَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، رَفَعَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِعَزَّوَجَلَّ** – وَهُوَ أَعْلَمُ – **فَيَقُولُ: لِعَبْدِي عَلَيَّ إِنْ تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ شَفَيْتُهُ أَنْ أُبَدِّلَهُ لَحْماً خَيْراً مِنْ لَحْمِهِ، وَدَماً خَيْراً مِنْ دَمِهِ، وَأَنْ أُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتَهُ**»[٣٥] ويحتمل – والله أعلم – أن«يريد به خيراً في صحته، وقوته، وسلامته من الأسقام، ويحتمل أن يريد به أنه خيرٌ لما يُريد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى من استعماله بالطاعة، وإثابته من عِوَضِه إياه، وقوله:«**وَأَنْ أُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتَهُ**»، إتمام نعمته عليه بما عوَّضه من صحته، والله أعلم»[٣٦].حصيلة ما تقدم: إنه قد اتضح لنا كيفية تعاطي الهدي النبوي مع واقع الفرد المصاب من خلال ترسيخ اعتقاده وإيمانه، وتقوية إدراكه بأن الوباء يطهره من الذنوب، ويرفع به درجته، فضلاً عن أن يضاعف له الأجر العظيم إذا صبر عليه، بل قد ينتهي به الأمر إلى أن تحط عنه السيئات جميعها، وكل ذلك – حقيقة – يبعث على اطمئنانه وراحة نفسه، وأدعى إلى الرضى بالقضاء والقدر، قال النبيﷺ:«**عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**»[٣٧].وإذا كان الفرد النازل به الوباء يعتريه شيء من الحزن، أو الهمّ، أو الغمّ، بسبب نزوله به، فإن الهدي النبوي قد بين له جزاء ذلك هو تكفير خطاياه، كما جاء في الحديث الشريف:«**مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ، وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ، وَلاَ حُزْنٍ، وَلاَ أَذىً، وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»[٣٨]، يقول ابن حجر العسقلاني:«والتحقيق أن المصيبة كفَّارة لذنب يوازيها، وبالرضى يؤجر على ذلك، فإن لم يكن للمصائب ذنب، عُوّض عن ذلك من الثواب بما يوازيه»[٣٩].علاوة على ذلك، فإن الهدي النبوي قد وضَّح لنا أن نزول الوباء بالفرد – ومنه وباء الطاعون – دليل على خيريته، كما في جاء في قول النبيﷺ:«**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ**»[٤٠]، والمعنى:«أنه يبتليه بالمصائب، ليثيبه عليها»[٤١].

ومن الجدير بيانه أن الهدي النبوي قد احتوى على بشارة عظيمة لكل فرد مؤمن نزل به الوباء – إذ إن هذا الفرد لا ينفك غالباً من ألم بسبب وباء، أو مرض، أو نحو ذلك مما ذُكر – وذلك لأن الأوبئة والأمراض، والأوجاع، والآلام: بدنية أكانت أم قلبية، تطهر من نزلت به من الذنوب، وتكفر سيئاته، فضلاً عن أنها أيضاً ترفع درجته[٤٢]، وقد ضرب النبيﷺ لهذا الفرد المؤمن مثلاً بالخامة[٤٣] من الزرع التي تميلها الرياح يميناً أو شمالاً – ويعني بذلك كثرة الأمراض والمصائب – فقال:«**مَثَلُ المُؤْمِنِ كَالخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفَيِّئُهَا**[٤٤] **الرِّيحُ مَرَّةً، وَتَعْدِلُهَا**[٤٥] **مَرَّةً، وَمَثَلُ المُنَافِقِ كَالأَرْزَةِ**[٤٦]**، لاَ تَزَالُ حَتَّى يَكُونَ**[٤٧] **انْجِعَافُهَا**[٤٨] **مَرَّةً وَاحِدَةً**»[٤٩]، قال العلماء:«معنى الحديث أن المؤمن كثير الآلام في بدنه، أو أهله، أو ماله، وذلك مكفّر لسيئاته، ورافع لدرجاته. وأما الكافر، فقليلها، وإن وقع به شيء، لم يكفر شيئاً من سيئاته، بل يأتي بها يوم القيامة كاملة»[٥٠].

– الإرشاد الرابع: عيادته لبث الأمل والتفاؤل في نفسه، والدعاء له بالشفاء العاجل:

أولاً: عيادة الفرد المصاب لبث الأمل والتفاؤل في نفسه: من المسلَّم به أن وقوف أفراد المجتمع المسلم بجانب أخيهم الفرد المصاب وعيادته[٥١]، يأتي في إطار التخفيف عما هو فيه، وبث الأمل والتفاؤل في نفسه، ولا يعتبر ذلك منَّة منهم عليه، وإنما هو حق من حقوقه عليهم، قال النبيﷺ – في بيان حق الفرد المسلم على أخيه المسلم – :«**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**»، قيل: ما هن يا رسول الله؟، قال:«**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**»[٥٢]. لقد أرشد الهدي النبوي الفرد المسلم إلى عطايا الله التي لا تنفد لمن يزور أخيه المسلم المريض، حتى يسارع في زيارته، بما يحفظ له حقه في الأنس والأحباب والأصدقاء والأصحاب، وذلك حدباً من نبي الرحمة على الفرد المسلم المريض في بلائه، ورفعاً لروحه المعنوية بالإحساس بالمشاركة الوجدانية من المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه، فعن ثوبان[٥٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيﷺ قال:«**مَنْ عَادَ مَرِيضاً، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ**[٥٤] **الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ**»[٥٥].ولا ريب في أن شعور الفرد المطعون النفسي بذلك جدير بأن«يبدد ظلمة القلق من النفس، ويطرد شبح اليأس من القلب، وأن يضيء الصدر بالتفاؤل، والأمل بالظفر، والثقة بالغد، وهذا كسب نفسي كبير، فإن الأمل قوة محركة، وشحنة دافعة إلى الأمام، أما اليأس، فهو داء وبيل، بل قتّال»[٥٦].وهاكم طائفة من الأحاديث الشريفة:

– الحديث الأول: قول النبيﷺ:«**إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الْمَرِيضِ، فَنَفِّسُوا لَهُ فِي الْأَجَلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ شَيْئاً، وَهُوَ يُطَيِّبُ بِنَفْسِ الْمَرِيضِ**»[٥٧]، ومعنى قوله:«**فَنَفِّسُوا لَهُ فِي الْأَجَلِ**»، أي:«وسعوا له، وأطمعوه في طول الحياة، وأذهبوا حزنه فيما يتعلق بأجله، بأن تقولوا: لا بأس طهور، أو نحو ذلك، فإن ذلك تنفيساً لما هو فيه من الكرب، وطمأنينة لقلبه»[٥٨]. وبعبارة أخرى، فإن قوله:«**فَنَفِّسُوا لَهُ فِي الْأَجَلِ**»، معناه: أي وسعوا له فيه، بأن يقال: أنت إلى خير وعافية، وقد مرض جماعة من هذا المرض، ومنَّ الله عليهم بالعافية، وهو إرشاد إلى إدخال السرور عليه، وإلى نوع من العلاج شريف، ذلك أن«المريض إذا قويت نفسه، وطمعت في العافية، قويت طبيعته، وانبعثت حرارته الغريزية، فيساعد ذلك على دفع العلة، أو تقليلها، الذي هو غاية نفع الطبيب، كما أن لإدخال السرور على المريض، وتفريج نفسه، ونشط خاطره، تأثير عجيب في شفاء علته أو تخفيفها، إذ إن الأرواح تقوى بذلك، وتساعد الطبيعة على دفع الألم أو تخفيفه، وقد شاهد الناس جماعة من المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونه، ويعظمونه، وتسرهم رؤيته، ويلتذون بخطابه، وهو أحد فوائد عيادة المريض، وقد أشار إليه قول النبيﷺ:«**فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ شَيْئاً**»، أي: من القدر،«**وَهُوَ يُطَيِّبُ بِنَفْسِ الْمَرِيضِ**»، وذلك من مقتضيات العيادة»[٥٩].ولا شك في أن«هذا الجانب النفسي ألزم ما يكون للفرد المصاب، لأنه قوة نفسه، وانبعاث آماله، وتجعل عند الجسم حسن قابلية لتماثل الشفاء، وحسن استعداد للاستفادة من العلاج المطلوب منه»[٦٠].علاوة على ذلك، فإن من جملة تنفيس الأجل على الفرد المصاب – في نظرنا – وبث الأمل والتفاؤل في نفسه، تذكيره بأن ما من مرض، أو وباء، إلا وله دواء. وهاكم طائفة من الأحاديث الشريفة:

– الحديث الأول: قول النبيﷺ:«**مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً**»[٦١].

– الحديث الثاني: قول النبيﷺ:«**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ**»[٦٢].

– الحديث الثالث: قول النبيﷺ:«**تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ**»[٦٣].

– الحديث الرابع: قول النبيﷺ:«**مَا خَلَقَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا وَقَدْ خَلَقَ لَهُ دَوَاءً، عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، إِلَّا السَّامَ وَهُوَالْمَوْتُ**»[٦٤].

– الحديث الخامس: قول النبيﷺ:«**مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ دَاءٍ إِلَّا نَزَّلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»[٦٥].

ومن الملاحظ أن الهدي النبوي – في هذا الباب – قد أعطى أملاً – ما بعده أمل – لكل فرد مصاب، حيث قضت هذه الأحاديث الشريفة بأن لكل داء دواء، ولكل مرض شفاء، وبذلك لا يفقد هذا الفرد المصاب الأمل في الشفاء من هذا الوباء الفتاك، على عكس ما هو

الحال اليوم، حيث تصنف بعض الأوبئة على أنه لا شفاء لها. ذلك أن هذا الهدي هو هدي قائم على الجمع بين العلاجين: الروحي، والمادي، وليس على الأحادية، أي الاعتماد على أحد العلاجين دون الآخر، بل إنه يجمع – كدأبه في كل شيء – بين الدِّين والدنيا، وبين المادة والروح، وفي ذلك وغيره جمع للخيرين.وعليه، فإن الهدي النبوي يحثنا على طلب الدواء والتفتيش عليه، لما فيه من تقوية لنفس المصاب، فإنه إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله، تعلق قلبه بروح الأمل والرجاء، وبردت عنده حرارة القنوط واليأس، قال القاري[٦٦]:«اعلم أن في هذه الأحاديث الشريفة تقوية لنفس المريض والطبيب، وحثاً على طلب الدواء وتخفيفاً للمريض، فإن النفس إذا استوثقت أن لدائها دواء يزيد قوى رجائها، وانبعث حارها الغريزي، فتقوى الروح النفسانية والطبيعية والحيوانية بقوة هذه الأرواح، تقوى القوى الحاملة لها، فتدفع المرض وتقهره»[٦٧]. وإذا كان الفرد غير المسلم يبحث عن الدواء ولا يكون يائساً، إلا أن هناك فرقاً بين من يبحث عن الدواء ولا يدري أله وجود أم لا، وبين من يبحث عن الدواء وعنده علم بأنه موجود، ولكن عليه التنقيب عنه؛ فنفسية الفرد المسلم المصاب – عند بحثه عن الدواء والتنقيب عنه – تتصف بقوة الأمل، وسعة الرَّجاء، لإيمانه بأنه موجود، وإيمانه بأن اللهسُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كما أنزل الوباء، فقد أنزل معه دواءه وعلاجه، وهذا يدل على أن الإيمان بوجود الدواء يقوِّي النفس، ويعزِّز من رجائها، فيكون ذلك سبباً في اندفاع قوة تأثير الوباء على الجسم.هذا، ومن الجدير ذكره أنه يجب على الفرد المصاب أن يسعى جاهداً للعلاج إن كان ذلك ممكناً، ويكون آثماً إذا تركه، كما عليه أيضاً أن يبذل قصارى جهده لعدم انتشار وبائه وتعديته إلى غيره، من خلال عدم الاختلاط، وعدم الخروج إلا للضرورة، وذلك لأن إيذاءه للآخر محرَّم، وإضراره بالآخر – بأي طريق كان – ممنوع شرعاً بقول النبيﷺ:**«لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»**[٦٨].

– الحديث السادس: قول النبيﷺ:**«عُودُوا الْمَرْضَى، وَمُرُوهُمْ فَلْيَدْعُوا لَكُمْ، فَإِنَّ دَعْوَةَ الْمَرِيضِ مُسْتَجَابَةٌ، وَذَنْبُهُ مَغْفُورٌ»**[٦٩].ومن الواضح أن في هذا«التوجيه والإرشاد النبوي السامي – من طلب الفرد الصحيح المعافى من الفرد المصاب أن يدعو له – ما يرفع معنوياته، ويشعره أنه في منزلة عند ربه تجعله يلتمس منه الدعوات الصالحة، وأن هذا الفرد الصحيح – الذي جاءه ليعوده – هو في حاجة إلى دعوات منه، ولكأنها مكافأة للفرد الصحيح على مجيئه لعيادته، كما أن في هذا التوجيه والإرشاد أيضاً تنبيهاً للأفراد الأصحاء على عظم الأجر لمن صبر على الوباء»[٧٠].وإلى جانب ذلك، فإن زيارة الفرد المريض تجعل رحمة الله تغمر الزائر، فتجعله يشعر بالطمأنينة والسكينة، وانشراح الصدر، قال النبيﷺ:**«أَيُّمَا رَجُلٍ عَادَ مَرِيضاً، فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ الْمَرِيضِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ»**، فقيل: يا رسول الله! هذا الصحيح الذي يعود المريض، فالمريض ما له؟، قال:**«تُحَطُّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ»**[٧١].والواقع أن رعاية الأفراد المرضى التي فرضها الهدي النبوي كواجبات على الأفراد الأصحاء، تبلغ في قوتها ومثاليتها ما تقف معه العقول حائرة من رحمة ذلك النبي الكريم الذي لم يغفل أي احتياج عاطفي للفرد المسلم في كل لحظات حياته، وفي كل ظروفه التي تدور بها عجلة الحياة مما يحقق لهذا الفرد أعلى درجات الأمن النفسي، ويحقق السلام الاجتماعي والترابط، وهذا ما يعجز عن تحقيقه أكثر القوانين التي تدعي الحضارة، والرقي، والتقدم.هذا، ومن الخليق الإشارة إلى أن من آداب الهدي النبوي في عيادة الفرد المريض، غسل اليدين قبل الدخول على المريض، وبعد الخروج من عنده، ويُستحسن لعائد الفرد المريض أن يتوضأ، قبل عيادته لمريضه، وضوءاً كاملاً، أي غسيل الوجه، والأنف، والحلق، والأرجل مع غسيل اليدين، قال النبيﷺ:**«مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، وَعَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ مُحْتَسِباً**[٧٢]**، بُوعِدَ مِنْ جَهَنَّم مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفاً»**، قيل: وما الخريف؟، قال:**«الْعَامُ»**[٧٣].وحِكمة هذا التوجيه والإرشاد تكمن في أن«الفرد السليم قد يكون حاملاً للميكروب في يديه أو حلقه، كما أن كثيراً ما يكون المريض ضعيف البنية، وضعيف المقاومة للمرض، وبالتالي، فإن دخول أي فرد حامل للميكروب عليه قد يصيبه بمرض جديد. أما عند الخروج من زيارة المريض، فحكمه الغسيل أو الوضوء بعدها، لئلا يحمل الفرد منه أي ميكروب إلى نفسه، أو غيره من الأفراد»[٧٤]ثانياً: الدعاء للفرد المصاب بالشفاء العاجل: – الدعاء له عند زيارته: من حسن الأدب في عيادة الفرد المصاب أن يقول خيراً، وأن يدعو له، فقد كان النبيﷺ يدعو بذلك، فعن أنس بن مالكرَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: كان النبيﷺ إذا دخل على مريض قال:**«اللَّهُمَّ! رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ الْبَاسِ**[٧٥]**، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَماً»**[٧٦]الدعاء له بظهر الغيب: إن الدعاء للفرد المصاب بظهر الغيب – أي في غيبته وفي سرّه – بالشفاء العاجل أنفع له، كما أنه يكون أرجى للإجابة. وهاكم حديثين شريفين:الحديث الأول: قول النبيﷺ:**«مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ»**[٧٧]، قال النووي:«أما قول النبيﷺ:**«بِظَهْرِ الْغَيْبِ»**، فمعناه في غيبة المدعو له وفي سرّه، لأنه أبلغ في الإخلاص...، وفي هذا فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب، ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة، ولو دعا لجملة المسلمين، فالظاهر حصولها أيضاً، وقد كان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه، فإنه كان يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة، لأنها تستجاب، ويحصل له مثلها»[٧٨].الحديث الثاني: قول النبيﷺ:**«مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ**

بِمِثْلٍ»[٧٩]، قال القاضي عياض:«فيه أن الداعي لأخيه بظهر الغيب له من الأجر بمثل ما دعا به، لأنه وإن دعا لغيره، فقد عمل عملين صالحين: أحدهما: ذكر اللهعَزَّوَجَلَّ مخلصاً له، وفازعاً إليه بلسانه وقلبه. لثاني: محبته الخير لأخيه المسلم ودعاؤه له، وهو عمل خير لمسلم يؤجر عليه، وقد نص فيه أنها مستجابة كما نص في الحديث»[٨٠].ومن فوائد الدعاء بظهر الغيب للفرد المصاب بالشفاء العاجل:

١- إدخال الداعي السرور على الفرد المصاب.

٢- إن اللهسُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يستجيب للداعي، ويوكل ملكاً بذلك.

٣- إن الداعي يسن سنة حسنة له أجر من عمل بها.

٤- استجابة الدعاء بإذن اللهتَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لقول الملائكة:«**آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ**»، والملائكة عباد مكرمون.

٥- إن الدعاء فيه إعانة من الداعي إلى الفرد المصاب، لينفرج عن الكرب، وينزاح عنه الهمّ، ويرتفع عنه الحزن، ويصرف عنه الوباء،

٦- إن اللهعَزَّوَجَلَّ سيسخر للداعي من يدعو لك بظهر الغيب، كما فعل مع الفرد المصاب.

٧- إن الداعي بدعائه يطبق الهدي النبوي، فيثاب من جهة الدعاء، ومن جهة المتابعة.

- الإرشاد الرابع: حثّه على التحلي بالصبر على مصابه، واحتساب الأجر على اللهتَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: لا ريب في أن صبر الفرد المصاب، ورضاه بقضاء الله وقدره، يُعتبر سبباً لنزول الرحمة عليه في الدنيا، وشمول الرحمة له يوم الحساب، فضلاً عن نيله الثواب العظيم، وأن بلوغ تلك المنازل العالية لا يكون إلا إذا صبر المصاب على بلائه، واعتبره نِعمة من نِعم الله عليه، واحتسب الأجر على الله في ابتلائه به، قال اللهسُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم:**چ ثى ثي جح جم حج حم خج چ**[٨١]، ومعناه:«أن الصابر على البلاء يُعطى أجره بغير حدٍ، ولا عد، ولا مقدار، وما ذاك إلا لفضيلة الصبر ومحله عند الله، وإنه معين على كل الأمور»[٨٢].

وهاكم طائفة من الأحاديث الشريفة:- الحديث الأول: قول النبيﷺ:«**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ، لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِتَبَارَكَوَتَعَالَىٰ**»[٨٣].الحديث الثاني: قول النبيﷺ:«**إِنَّ الرَّجُلَ تَكُونُ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللَّهِ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبْلِغَهُ ذَلِكَ**»[٨٤]على أنه إذا كان من الممكن تخيّل المفارقة بين شخصين يصابان بالوباء نفسه، أحدهما يؤمن بأنه إن صبر على هذا الوباء، سيظفر بأجرٍ لا عد له، ولا حد، ولا مقدار، والآخر لا يؤمن بهذا الجزاء، فكيف يكون حاله، وكيف تكون نفسيته؟!، سيكون – حتماً – في غاية التألم والحسرة، وغاية التحطم والانكسار هذا، ومن المفيد الإشارة إلى أنه قد وردت بعض الآثار بمجالسة الملائكة للأفراد الصابرين من أصحاب الابتلاء، ومنها: خبر عمران بن حُصَين[٨٥]رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما كان مصاباً، فقد روى مطرِّف[٨٦] أن عمران بن حُصَينرَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال له:«أحدثك حديثاً عسى الله أن ينفعك به: إن رسول اللهﷺ جمع بين حجّة وعمرة، ثم لم ينه عنه حتى مات، ولم ينزل فيه قرآن يحرمه، وقد كان يسلم عليَّ حتى اكتويت، فتركت، ثم تركت الكيّ فعاد»[٨٧]. ومعنى الحديث:«أن عمران بن حُصَينرَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كانت به بواسير، فكان يصبر على ألمها، وكانت الملائكة تُسلم عليه، فاكتوى، فانقطع سلامهم عليه، ثم ترك الكيّ، فعاد سلامهم عليه»[٨٨].

المطلب الثاني: إرشادات تعبدية للأفراد النازل بهم الوباء. هناك إرشادات عدة في هذا الصدد، سنذكر منها:

- الإرشاد الأول: فزعه إلى اللهسُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالصلاة: لا ريب في أن الفرد المصاب إذا فزع إلى اللهسُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالصلاة، فإنه – بلا أدنى شك – يُفرج عنه مما هو فيه من الهم والغم والكرب، وذلك ببركة عمله هذا، كيف لا وفي الصلاة«شفاء من الأمراض القلبية والبدنية، كما أنها جامعة للأذكار والدعوات، وشاملة للأفعال والحالات، وتريح من كل همّ، وتفرج من كل غمّ»[٨٩][٩٠]، ولذا قال النبيﷺ:«**يَا بِلَالُ!**[٩١] **أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا**»[٩٢]، وكان يقول أيضاً:«**وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[٩٣].وقد وضّح الهدي النبوي ذلك أيّما إيضاح، فأرشد الفرد المصاب إلى كيفية تعاطيه مع الوباء من خلال فزعه إلى اللهعَزَّوَجَلَّ بالصلاة، ففي حديث حذيفة بن اليمان[٩٤]رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن:«**النَّبِيَّﷺ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى**»[٩٥]، وقوله:«**إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ**»، أي:«إذا نابه وألمّ به أمر شديد»[٩٦]، وقوله:«**صَلَّى**»، أي: فزع إلى الصلاة، وبادر إليها، وذلك امتثالاً لقول الله عَزَّوَجَلَّ:**چ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ چ**[٩٧]، أي: استيعنوا على ما يستقبلكم من أنواع البلايا بالصبر[٩٨]، والالتجاء إلى الصلاة، لما فيها من«الإعانة على دفع النوائب والأحزان، إذ هي إقبال على اللهسُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وإعراض عما سواه، وهوعَزَّوَجَلَّ مفرج كل كربة، وكاشف كل همّ وحزن»[٩٩]، ومنه أخذ بعضهم ندب صلاة المصيبة، وهي ركعتان عقيبها، قال القاري:«وهذه الصلاة ينبغي أن تُسمى بصلاة الحاجات، لأنها غير مقيدة بكيفية من الكيفيات، ولا مختصة بوقت من الأوقات»[١٠٠].

ومن الجدير ذكره أن هذا المسلك هو بعينه مسلك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهذا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قد نُعي إليه أخوه وهو في سفر، فاسترجع ثم تنحَّى عن الطريق، فأناخ، فصلَّى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته، ويقول:«نفعل ما أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ به بقوله: چ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ چ[101]»[102]وتأسساً على ما تقدم، فإن على الفرد المصاب المسارعة إلى اتباع الهدي النبوي، الذي رسم له كيفية التعاطي مع وباء الطاعون الفتاك، وذلك من خلال الفزع إلى الصلاة والاشتغال بها، حتى يفرج عنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مما ألمَّ فيه من هذا الأمر الشديد ببركة الصلاة، قال النعمان بن بشير [103] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :«إن الهلكة كل الهلكة أن تعمل عمل السوء في زمان

– الإرشاد الثاني: دعاؤه وتضرعه إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ومحافظته على الأذكار المقربة إليه.

– أولاً: دعاؤه وتضرعه إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: على الرغم من أن الدعاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتضرّع إليه، من اللوازم الرئيسة التي تربط الفرد المؤمن بخالقه وقت الصحة والمرض، والقوة والضعف، كيف لا يكون ذلك وقد قال النبي ﷺ:«**إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ**» ثم قرأ: چ ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ ٱ چ[105][106]، وفي رواية أيضاً: «**الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ**»[107]، والمعنى أن«العبادة لا تقوم إلا بالدعاء، كما أن الإنسان لا يقوم إلا بالمخ»[108]. كما أن النبي ﷺ قال:«**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ**»[109]، أي: أشد مكرومية، والمعنى أن«الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يكرمه بالإجابة، وهذا في كرامة الأقوال، وقوله: چ ڃ ڃ ڃ ڃ چ[110]، في كرامة الأشخاص»[111].علاوة على ذلك، فإن من آداب الدعاء الجزم في الدعاء والثقة بالله في حصول الإجابة، فقد قال النبي ﷺ:«**ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ**»[112].غير أن الدعاء يبرز بصورة أوضح وقت الشدة، والبلاء، والوباء، لذا، فقد أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ به، فقال: چ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ چ[113].ولا مراء في أن هذا كان ديدن الهدي النبوي، إذ إن النبي ﷺ كان أول من قام بذلك، حيث أرشد الفرد إلى رفع يديه بالدعاء إلى الله، والتضرع إليه، لرفع ما نزل به من الوباء، ذلك أنه بعد الهجرة حدث ما يشبه وباء الطاعون في المدينة المنورة، فضعف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فدعا النبي ﷺ بنقل الوباء إلى الجحفة، وهذا ما روته لنا السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقالت: قدِمنا المدينة وهي وبيئة، فاشتكى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واشتكى بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما رأى النبي ﷺ شكوى أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال:«**اللهُمَّ! حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَحَوِّلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ**»[114].وهاكم طائفة من الأحاديث الشريفة:

– الحديث الأول: قول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن النبي ﷺ لم يكن يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي، وحين يصبح:«**اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي، وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي، وَمَالِي**»[115].الحديث الثاني: قول أبي بكر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن النبي ﷺ قام في العام الأول على المنبر، ثم بكى، وقال:«**اسْأَلُوا اللَّهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَداً لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْراً مِنَ العَافِيَةِ**»[116]الحديث الثالث: قول أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنه أتى النبي ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله! أي الدعاء أفضل؟، قال:«**سَلْ رَبَّكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»، ثم أتاه في اليوم الثاني، فقال: يا رسول الله! أي الدعاء أفضل؟، قال:«**سَلْ رَبَّكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»، ثم أتاه في اليوم الثالث، فقال: يا نبي الله! أي الدعاء أفضل؟، قال:«**سَلْ رَبَّكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَدْ أَفْلَحْتَ**»[117].الحديث الرابع: قول أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن النبي ﷺ كان يقول:«**اللَّهُمَّ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُذَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ**»[118].الحديث الخامس: قول النبي ﷺ لعمه العباس[119] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:«**أَكْثِرِ الدُّعَاءَ بِالْعَافِيَةِ**»[120].الحديث السادس: قول النبي ﷺ: «**مَنْ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ، حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ**»[121].

– ثانياً: محافظته على الأذكار المقرّبة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لا ريب في أن «ذِكر الله عَزَّوَجَلَّ يسهّل الصعب، وييسّر العسير، ويخفّف المشاق، فما ذُكر الله عَزَّوَجَلَّ على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسَّر، ولا مشقَّة إلا خفَّت، ولا شدةٍ إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذِكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغمّ والهمّ...، وذِكرُ الله عَزَّوَجَلَّ يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذِكر الله عَزَّوَجَلَّ، إذ بحسب ذِكره يجد الأمن، ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه، حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حِسّ قد جرب هذا وهذا»[122].

– **الإرشاد الثالث: لجوؤه إلى الاستغفار، والتوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.**

أولاً: لجوؤه إلى الاستغفار: وذلك انطلاقاً من قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى:چ ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ[123]، وقول النبي ﷺ:«**مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**»[124]، قال

المناوي:«هو مقتبس من قول اللهعَزَّوَجَلَّ: چ گ گ گ ں ں ڻ چ[١٢٥]، لأن من داوم على الاستغفار، وقام بحقه، كان متقياً وناظراً إلى قولهسُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ:چ ی ی ی ی ئج ئح ئم چ[١٢٦]»[١٢٧]. وقول النبيﷺ:«**مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ**»، أي:«عند صدور معصية وظهور بلية، أو من داوم عليه، فإنه في كل نفس يحتاج إليه»[١٢٨]، ولذا قال النبيﷺ:«**طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا**»[١٢٩]. وقال الشوكاني:«وفي الحديث – الذي ذكرناه – أن الإكثار من الاستغفار، فيه المخرج من كل ضيق، والفرج من كل همّ، وحصول الأرزاق من حيث لا يحتسب ولا يكتسب، فمن حصل له ذلك عالق في نعمة، سالماً من كل نقمة»[١٣٠].

– ثانياً لجوؤه إلى التوبة: لا ريب في أن التوبة من جملة أسباب رفع البلاء، لذا، فقد أمرنا اللهتَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بالتوبة والرجوع إليه بقوله:چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ چ[١٣١]، وقد ورد – في هذا الباب – عن العباسرَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال:«ما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة»[١٣٢] قال ابن قيم الجوزية:«ولم تزل أعمال بني آدم، ومخالفتهم للرسل، تُحدث لهم من الفساد العام والخاص ما يجلب عليهم من الآلام، والأمراض، والأسقام، والطواعين، والقحوط، والجدوب، وسلب بركات الأرض وثمارها ونباتها، وسلب منافعها أو نقصانها، أموراً متتابعة يتلو بعضها بعضاً، فإن لم يتسع علمك لهذا، فاكتفِ بقول اللهسُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: چی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخچ[١٣٤]، ونَزّل هذه الآية على أحوال العالم، وطابق بين الواقع وبينها، وأنت ترى كيف تحدث الآفات والعلل كل وقت في الثمار والزرع والحيوان، وكيف يحدث من تلك الآفات آفات آخر متلازمة، بعضها آخذ برقاب بعض، وكلما أحدث الناس ظلماً وفجوراً، أحدث لهم ربهمتَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من الآفات والعلل في أغذيتهم وفواكههم، وأهويتهم ومياههم، وأبدانهم وخلقهم، وصورهم وأشكالهم وأخلاقهم من النقص والآفات ما هو موجب أعمالهم وظلمهم وفجورهم، ولقد كانت الحبوب من الحنطة وغيرها أكبر مما هي اليوم، كما كانت البركة فيها أعظم... وأكثر هذه الأمراض والآفات العامة بقية عذاب عذبت به الأمم السالفة، ثم بقيت منها بقية مرصدة لمن بقيت عليه بقية من أعمالهم، حكماً قسطاً، وقضاء عدلاً، وقد أشار النبيﷺ إلى هذا بقوله في الطاعون:«**هُوَ عَذَابٌ أَوْ رِجْزٌ أَرْسَلَهُ اللهُ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ نَاسٍ كَانُوا قَبْلَكُمْ**»[١٣٥]»[١٣٦]. ولا شك في أن الذنوب«تزيل النعم، وتحلّ النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلّت به نقمة إلا بذنب...، وقد قال اللهتَبَارَكَوَتَعَالَىٰ:چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ چ[١٣٧]، فأخبر اللهسُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أنه لا يغير نعمَهُ التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغيّر ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فإذا غيَّر غيّر عليه جزاءً وفاقاً، وما ربُّك بظلام للعبيد، فإن غيَّر المعصية بالطاعة غيَّر الله عليه العقوبة بالعافية والذل بالعز، وقالعَزَّوَجَلَّ:چ ه ه ه ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ چ[١٣٨]»[١٣٩] ومن ثم، فإنه«مما ينبغي على الفرد المصاب عند نزول البلاء، وحلول الوباء به، المسارعة والمبادرة إلى التوبة إلى اللهعَزَّوَجَلَّ، وعدم العود إلى شيء من معصيته، والندم على ما مضى من ذلك، والوصية من غير أن يقع فيها حَيْف أو جَنَف[٣٥٤]، فضلاً عن رد المظالم، والتخلص من التبعات، وهذا جميعه مطلوب في كل وقت، ويتأكد كل ذلك عند حلول الوباء عموماً، ولمن وقع به خصوصاً»[١٤٠].تنبيه: وإنما «يحصل النفع بهذا الآيات والكلمات لمن صفى قلبه من الكدر، وأخلص في التوبة، وندم على ما فرَّط فيه، وفرَط منه، وإلا فإنه إذا غلبت أسباب الداء على أسباب الدواء، ربما بطل نفع الأدوية، ولو لم يكن لذلك مثال في الخارج إلا غفلة المرءِ عن الأمور المذكورة، حتى تهجم عليه الآفة من غير أن يشعر، ثم يطلب الإقالة فلا يجد إليها مثيلاً، فنسأل الله أن يثبت قلوبنا على دينه، وأن يرزقنا التوبة النصوح، وأن يختم لنا بالحسنى بمنّه وكرمه»[١٤١].

– **المبحث الثاني:** منهج البُعد الوقائي والعلاجي المادي الخاص بالمجتمعات النازل بها الوباء.وتحته مطلبان:

– **المطلب الأول:** الاستعانة بوسائل العلاج المتاحة من الوباء(التداوي).

– **المطلب الثاني:** الوقاية الصحية بالطهارة والنظافة من الأوبئة والأمراض.

– **المطلب الأول:** الاستعانة بوسائل العلاج المتاحة من الوباء(التداوي). يتوهم بعض الناس أن الرضى بقضاء الله وقدره في حال نزول الوباء يعني ترك الاستعانة بوسائل العلاج المتاحة، أي طلب التداوي، لأنه – أي التداوي – ينافي التوكل على اللهتَبَارَكَوَتَعَالَىٰ. والواقع أن هذا أمر ظاهر البطلان، ذلك أن طلب التداوي أصل من أصول الهدي النبوي المعتبر في حفظ الصحة، وصيانتها ووقايتها من الأمراض والأوبئة، وقد وردت أحاديث نبوية عدة ترشد الفرد إلى التداوي، وتحضه عليه، والأخذ بالأسباب المعالجة للأوبئة والأدْواء، وبأن التداوي – بتاتاً – لا ينافي التوكل على اللهعَزَّوَجَلَّ، وهاكم طائفة منها:

– الحديث الأول: قول النبيﷺ:«**مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً**»[١٤٢].

– الحديث الثاني: قول النبيﷺ:«لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»(١٤٣).

– الحديث الثالث: قول النبيﷺ:«تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ»(١٤٤).ومن الواضح أن هذه الأحاديث النبوية تعطي أملاً للمرضى بأن لكل مرض علاجاً ودواء، وأيضاً فإن فيها تحفيز العلماء والأطباء على السعي لاكتشاف العلاجات المناسبة لكل الأمراض، وأن يحذفوا من أدبياتهم مقولة: إن هذ المرض ليس له دواء، إذ إن الحقيقة كامنة في أن له دواء، لكنه لم يكتشف إلى حد الآن.ولا ريب في أن الهدي النبوي قد ربط بين الأسباب والمسببات، أو بين المرض والعلاج، وأكد على أهمية الاستعانة بالطب والدواء، وكل وسائل العلاج المتاحة، سواء في الوقاية من الأمراض، أو في معالجتها عند حدوثه، أن ذلك«لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع، والعطش، والحر، والبرد، بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة ويضعفه، من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجزاً ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً»(١٤٥).وفوق ذلك، فإن«في الأحاديث الشريفة رد على من أنكر التداوي، وقال: إن كان الشفاء قد قدر، فالتداوي لا يفيد، وإن لم يكن قد قدر فكذلك، وأيضاً، فإن المرض حصل بقدر الله، وقدر الله لا يدفع ولا يرد،وهذا السؤال هو الذي أورده الأعراب على النبيﷺ. وأما أفاضل الصحابةرَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فأعلم بالله وحكمته، وصفاته، من أن يوردوا مثل هذا، وقد أجابهم النبيﷺ بما شفى وكفى، فقال: هذه الأدوية والرقى والتقى هي من قدر الله، فما خرج شيء عن قدره، بل يرد قدره بقدره، وهذا الرد من قدره، فلا سبيل إلى الخروج عن قدره بوجه ما، وهذا كرد قدر الجوع، والعطش والحر، والبرد بأضدادها، وكرد قدر العدو بالجهاد، وكل من قدر الله الدافع والمدفوع والدفع»(١٤٦) وقد بيّن ابن قيم الجوزية أصول طرق التداوي الصحيح، وسنذكر منها:– **الأصل الأول:** إرشاد المريض أن يتحرّى التداوي عند من اشتهر بحِذْقه في صناعة الطب.– **الأصل الثاني:** إرشاد الطبيب إلى مراعاة عشرين أمراً، ليكون حاذقاً في صَنْعته، من أهمها:– **الأمر الأول:** الوقاية الدائمة باجتناب ما فيه خطر على صحة الإنسان.– **الأمر الثاني:** العمد إلى التداوي بالغذاء أولاً، ثم بالدواء، فلا ينتقل من العلاج بالغذاء إلى الدواء إلا عند تعذُّره.– **الأصل الثالث:** مزيد التلطُّف بالمريض.– **الأصل الرابع:** النظر في نوع المرض، وسبب حدوثه، وقوة المريض في مقاومة تلك العلَّة المرضية، فإن عجز المريض عن ذلك، عمد عندها إلى النظر في الدواء المضادِّ لتلك العلَّة.– **الأصل الخامس**تحجيم المرض والحجر عليه، إذا ظهر أنه مما يتنقل ويعدي بقدر الله(العلاج والرقى بما صحَّ عن النبيﷺ)(١٤٧)(١٤٨)ومن ثم، فإن الهدي النبوي إذا كان لا يهمل الجانب الروحي في علاج المصاب بالوباء، ولا يأمر بترك الدعاء له بالشفاء، سواء كان هذا الدعاء بآيات من القرآن، أو بالصلاة، أو حتى بالتمنيات الطيبة، إلا أنه يختلف عن غيره من المعتقدات في أنه لا يرضى بإهمال العلاج على حساب الدعاء والصلاة، بل يجعل لكل منهما مكاناً، أو يسيراً معاً(١٤٩)، قال ابن قيم الجوزية:«من الأدوية التي تشفي الأمراض ما لم يهتدِ إليها عقول أكابر الأطباء، ولم تصل إليها علومهم، وتجاربهم، وأقيستهم، من الأدوية القلبية والروحانية، وقوة القلب، واعتماده على الله، والتوكل عليه، والالتجاء إليه، والانطراح والانكسار بين يديه، والتَّذلل له، والدقة والدعاء، والتوبة والاستغفار، والإحسان إلى الخلق، وإغاثة الملهوف، والتفريج عن المكروب، فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم – على اختلاف أديانها ومللها – فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه أعلم الأطباء، ولا تجربته، ولا قياسه»(١٥٠).ومضى يقول:«وقد جرَّبنا – نحن وغيرنا – من هذه أموراً كثيرة، ورأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسيَّة، بل تصير الأدوية الحسيَّة عندها بمنزلة الأدوية الطرقية عند الأطباء، وهذا جار على قانون الحكمة الإلهية، ليس خارجاً عنها، ولكن الأسباب

– **المطلب الثاني:** الوقاية الصحية بالطهارة والنظافة من الأوبئة والأمراض.

في الوقت الذي كانت القذارة في كل شيء سِمة مميزة لحياة الأوربيين وغيرهم – حتى اعتبرت الأوساخ والأوضار التي تعلق بالجسم والملبس هي من البركة، ومن الأشياء التي تُعطي القوة للأبدان!، وحتى وصل الأمر إلى أن الفرد كان لا يغتسل في العام كله إلا مرة أو مرتين – في هذا الوقت نزل الهدي النبوي في عمق الصحراء، وبعيداً عن حياة المدن والحضارات العملاقة، يُرشد أفراد المجتمع المسلم ويوجههم إلى طائفة من التعاليم المثالية – المتعلقة بالطهارة والنظافة – التي تحميهم من الأمراض والأوبئة السارية والوافدة قبل وقوعها، والتي تسهم في منع انتشار العدوى إذا وجدت، وتمنع عنهم أسباب القلق والتوتر العصبي، وسنذكر أمثلة عدة على ذلك، منها:

– الإرشاد الأول: نظافة البدن = الغسل: وهو يُعتبر«بمثابة صيانة دورية للبدن، فهو يحمي الجلد من العوامل الخارجية التي تضر به، كما أن الجلد نفسه يفرز بعض الإفرازات المحملة بفضلات البدن، مثل: العرق، والمواد الدهنية، وإن تراكم هذه المواد يزيد من تلوث الجلد،

ويساعد على نمو الجراثيم وتكاثرها، مما يجعل الغسل – بالهيئة التي أرشدنا إليها الهدي النبوي – وسيلة وقائية فعّالة جداً في التخلص من هذه الأدران التي يؤدي تراكمها إلى حدوث كثير من الأمراض الجلدية وغير الجلدية»[١٥٢]، ولا يكتفي الهدي النبوي الغسل كسبيلٍ لنظافة البدن، بل إنه يرشد أيضاً إلى ضرورة إزالة كل ما يمكن أن تتجمَّع تحته، أو تعلق به قذارة، أو ميكروبات في بدنه.وهاكم طائفة من الأحاديث

– الحديث الأول: قول النبيﷺ:«**الْفِطْرَةُ خَمْسٌ – أَوْ خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ – الْخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ**[١٥٣]، **وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَنَتْفُ الْإِبِطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ**»[١٥٤]. الحديث الثاني: قول النبيﷺ:«**عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَالِاسْتِنْشَاقُ بِالْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ**[١٥٥]، **وَنَتْفُ الْإِبِطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ**[١٥٦]، **والْمَضْمَضَةَ**»[١٥٧].

– الحديث الثالث: قول النبيﷺ:«**حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْماً يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ**»[١٥٨].

– الفائدة الأولى: إزالة الإفرازات العرقية والدهنية من الجلد[١٥٩].

– الفائدة الثاني: إزالة الغبار والأوساخ العالقة بالجلد.

– الفائدة الثالثة: إزالة رائحة العرق الكريهة.

– الفائدة الرابعة: وقاية الجلد من الميكروبات والجراثيم السطحية عن طريق الغسل[١٦٠].

وهاكم طائفة أخرى من الفوائد الصحية للغسل:

– الفائدة الأولى: إنه يُوقظ الهمة، ويقوي الإرادة، ويربي الفكر، وينعش القلب.

– الفائدة الثانية: إنه يُكسب الجسم صحة ومتانة، والعضلات قوة وصلابة، ويحافظ على توازن الحياة.

– الفائدة الثالثة: إنه يُذهب الأمراض الجلدية، ويأمن الإنسان من العدوى، لأن الأدران مقرٌّ للجراثيم الفتاكة.

– الفائدة الرابع: إنه يُعد النشاط الجسمي حتى يقف تجاه مولاه نشطاً مرتاحاً، منعش الفؤاد، منتهياً للخطاب[١٦١]وفوق ذلك، فإن من راجع معالجات الأطباء للكثير من الأمراض بالغسل بالماء، ظهر له منافع شتى من مشروعية الغسل، وعلم أنه أعظم محافظ على قانون الصحة، ونظام النظافة، وقد تنبَّه لذلك فلاسفة العصر المدني بعد قرون عدة من مشروعيته، فهذا الفيلسوف بنتام[١٦٢] يذهب إلى القول:«إنه يوجد بين التنعم الجسمي، واعتدال الملكات النفسانية، ارتباط شديد، لاحظه كثير من المؤلفين، فإن النظافة تبعد الكسل، وتحمل المرء على التحرز في أعماله، والتمسك بالوقار في أطواره، والرابطة بين النظافة وطهارة النفس شديدة جداً، حتى إن شرائع المسلمين حثت عليها حثاً كلياً، وجعلتها من الواجبات الأولية، فمن لم يصدق بتلك الأديان لا ينكر تأثيرها الجسماني»[١٦٣].

– الإرشاد الثاني: نظافة البدن = الوضوء: وهو يُعتبر عبادة يستعد بها الفرد المسلم للوقوف بين يدي الله في الصلاة، كما أنها تطهر الجسم من الخطايا والآثام، فضلاً عن أن الوضوء«يُعد بمثابة صيانة يومية للأعضاء الظاهرة، كالوجه والرأس واليدين والرِّجلين، وهي من أكثر الأعضاء تعرضاً للتلوث العارض من الغبار وغيره مما يعلق بالبدن من جراء النشاط اليومي للفرد المسلم»[١٦٤].علاوة على ذلك، فإن«المداومة على الوضوء، وتكرار فعله، ينبه الدورة الدموية وينشطها، فتنشط من جراء ذلك الجوارح كلها، مما يمنح الفرد المسلم إحساساً دائماً بالنشاط، وبهذا يكون الوضوء وسيلة وقائية للبدن والنفس معاً»[١٦٥]، فعن أنس بن مالكرَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: «**كان النبيﷺ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ**»، فقيل له: كيف كنتم تصنعون؟، قال:«**يُجْزِئُ أَحَدَنَا الْوُضُوءُ**[١٦٧] **ما لَمْ يُحْدِثْ**»[١٦٨].وهاكم حديث عثمان بن عفانرَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في هذا الباب، فقد دعا بوضوء، فأفرغ على يديه من إنائه، فغسلهما ثلاث مرات، ثم أدخل يمينه في الوضوء، ثم تمضمض، واستنشق واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ويديه إلى المرفقين ثلاثاً، ثم مسح برأسه، ثم غسل كل رجل ثلاثاً، ثم قال: رأيت رسول اللهﷺ تَوَضَّأَ نحو وضوئي، ثم قال:«**مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ فِيهِمَا بِشَيْءٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[١٦٩].وهاكم طائفة من الفوائد الصحية للوضوء:الفائدة الأولى: أما المضمضة، فإنها تخلّص الفم من الجراثيم الموجودة بشكل دائم في اللعاب، وعلى الأسنان واللسان، وفي جميع أجزاء الفم؛ فمضمضة الماء في الفم، تقيه من أمراض اللثة والتهاباتها، ومن تسوس الأسنان، وتقوي عضلات الفم والوجه، وتقيه من التهابات المجاري التنفسية، لذا، فقد أرشد النبيﷺ الفرد المسلم إلى الاستياك، فقال في السواك:«**عَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ، فَإِنَّهُ مَطْيَبَةٌ لِلْفَمِ، وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ**»[١٧٠]، وثبت عنه أيضاً أنه كان:«**إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، يَشُوصُ**[١٧١] **فَاهُ بِالسِّوَاكِ**»[١٧٢]، كما أن النبيﷺ رأى يوماً بعض أصحابه يهمل نظافة أسنانه حتى اصفر لونها، فقال لهم:«**مَا لِي أَرَاكُمْ تَأْتُونِي قُلْحاً، اسْتَاكُوا، لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَفَرَضْتُ عَلَيْهِمُ السِّوَاكَ كَمَا فَرَضْتُ عَلَيْهِمِ الْوُضُوءَ**»[١٧٣].وهاكم طائفة من الفوائد الطبية للسواك والتي أثبتها العلم الحديث:الفائدة الأولى للسواك: إنه يحتوي على مادة الفلوريد التي تمنع تسوس الأسنان، ذلك أن الفم يعتبر مستودعاً لكثير من الجراثيم التي يسميها الأطباء بالزمرة الجرموثية الفموية،

ومنها المكدرات العنقودية، والعقدية، والرئوية، والعصيات اللبنية، والعصيات الخناقة الكاذبة، والملتويات الفوهية والفنسانية، غيرها. وهذه الجراثيم تكون في حالة خاملة عند الشخص السليم، ومتعايشة معه، لكنها تنقلب إلى ممرضة مؤذية إذا بقيت ضمن الفم وبين الأسنان فضلات الطعام، فإن هذه الجراثيم تعمل على تفسخها وتخمرها، وتنشأ عنها روائح كريهة، كما أن هذه المواد تؤذي الأسنان، فتحدث فيها النخور، إضافة إلى أن تراكم الملاح حول الأسنان يحدث فيها القلح، والتهاب اللثة وتقيحها، ويمكن لهذه الجراثيم الانتقال بعيداً في أرجاء البدن محدثة التهابات مختلفة، كالتهاب المعدة، أو الجيوب الأنفية، أو القصبات الهوائية. الفائدة الثانية للسواك: يحتوي على مادة قابضة للثة، ويمنع حدوث نزف فيها. الفائدة الثالثة للسواك: يقوم بتنظيف ما يعلق بين الأسنان من بقايا الطعام، وفضلاته، بما يحتويه من ألياف، كالعيدان[١٧٤] ومن الملاحظ أن المغزى الطبي للسواك يكمن في نظافة الفم والإسنان من بقايا الطعام التي إذا تُرِكت في الفم فإنها تنتنه، وإذا دخلت بين الأسنان حملت معها الالتهابات وفسدت، فلا يجوز بلعها، وإذا تركت سبَّبت الروائح الكريهة وتسوس الأسنان[١٧٥]، ولذلك يذكر العلماء من فوائد السلوك – وهي كثيرة جداً – أنه يطهر الفم، ويرضي الرَّب، ويبيض الأسنان، ويطيب النكهة، ويسوي الظَّهر، ويشد اللثة، ويقوي على الهضم، ويدر البول، ويبطئ الشيب، ويصفي الخلقة، ويزكي الفطنة، ويسهل خروج الروح[١٧٦]. الفائدة الثانية: وأما غسل الأنف، واستنشاق الماء واستنثاره، فإنه يخلصه من الجراثيم الموجودة فيه، وهذه«ظاهرة ذات مغزى طبي خطير، ذلك أن معظم الميكروبات التي تنتقل إلى الإنسان بالرَّذاذ – مثل: الأنفلونزا، وشلل الأطفال، والدفتريا.. – يصل الميكروب إلى الأنف والحلق أولاً، ومن هناك ينتقل إلى داخل الجسم، فيصيبه بالمرض، وهذا الغسيل المتكرر للحلق والأنف، في الوضوء، يجرف معه تلك الميكروبات إلى الخارج، ويقي الإنسان من المرض»[١٧٧]، قال النبيﷺ:«**إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَنْشِقْ**[١٧٨] **بِمَنْخِرَيْهِ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ لِيَنْتَثِرْ**[١٧٩]»[١٨٠].الفائدة الثالثة: وأما بالنسبة لغسل الوجه، فإنه يعطي لجلد الوجه نضارة وحيوية، ويخلصهُ والعين من الجراثيم والغبار، ويحميها – أي العين – من الالتهابات المختلفة، قال النبيﷺ:«**إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ**[١٨١] **مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ، فَلْيَفْعَلْ**»[١٨٢].

– الفائدة الرابعة: وأما غسل اليدين والتخليل بين أصابعهما، فإنه يزيل بقايا العرق من على سطح الجلد، ويفتح مسامات[١٨٣] الجلد، ليستطيع التنفس بشكل جيد، بالإضافة إلى إزالة الشحوم والدهون المتراكمة على جلد اليدين بسبب إفرازات الجلد، وهذا ينعكس إيجابياً على الحالة الصحية للجسم، وكذا غسل القدمين مع التخليل بين أصابعهما جيداً، فإنه يقي الجلد، في هذا الموضع، من الإصابة بفطور القدمين، فضلاً عن العديد من أمراض الجلد، وقد أرشد النبيﷺ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى ذلك بقوله:«**إِذَا تَوَضَّأْتَ فَخَلِّلْ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ**»[١٨٤]، كما أرشد النبيﷺ أيضاً إلى تدليك أعضاء الوضوء، فقد روي عن المستورد[١٨٥] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال:«**رَأَيْتُ النَّبِيَّﷺ إِذَا تَوَضَّأَ، دَلَكَ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ بِخِنْصَرِهِ**»[١٨٦]، كما روى عبدالله بن زيد[١٨٧] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن قال:«**رَأَيْتُ النَّبِيَّﷺ يَتَوَضَّأُ، فَجَعَلَ يَدْلُكُ ذِرَاعَيْهِ**»[١٨٨].←حصيلة ما تقدم: إنه لا ريب في أن غسل الوجه، واليدين، والقدمين، وتدليك هذه الأجزاء، يسكن الآلام[١٨٩]، كما أنه يعتبر بمثابة تنشيط لجريان الدم في الأوعية التي تحت الجلد، وهذا ينعكس على الحالة النفسية للفرد المسلم، فيزداد اطمئناناً وسكينة، ويتخلص بذلك من كثير من تراكم الانفعالات النفسية السيئة[١٩٠]، علاوة على ذلك، فإن الإفرازات الدهنية التي يقوم بها الجلد باستمرار تجذب إليها كل أنواع البكتيريا من الهواء المحيط، لتنمو وتتكاثر بأعداد خيالية، وإن الوضوء – بانتظام وباستمرار – هو طريقة فعّالة من طرق وقاية الفرد المسلم وحمايته من فتك هذه الجراثيم[١٩١]ومن ثم، فقد اتضح لنا أن لغسل الوجه واليدين والقدمين فائدة لإزالة الغبار، وما يحتوي عليه من الجراثيم، فضلاً عن تنظيف البشرة من المواد الدهنية التي تفرزها الغدد الجلدية، بالإضافة إلى إزالة العرق، حيث إنه قد«ثبت علمياً أن الميكروبات لا تهاجم جلد الفرد إلا إذا أهمل نظافته، فإن الفرد إذا مكث فترة طويلة من دون غسل لأعضائه، فإن إفرازات الجلد المختلفة من: دهون، وعرق، تتراكم على سطح الجلد، محدثة حكة شديدة، وهذه الحكة تكون – غالباً – بأظافير غير نظيفة تدخل الميكروبات إلى الجلد، وكذلك الإفرازات المتراكمة في دعوة للبكتيريا كي تنمو وتتكاثر»[١٩٢].ومن المفيد الإشارة – في هذا الباب – إلى إرشاد النبيﷺ الفرد المسلم إلى تقليم أظفار[١٩٣] يديه ورجليه، وتنظيفها، معتبراً إياها من سنن الفطرة الخمسة، فقال:«**الْفِطْرَةُ خَمْسٌ – أَوْ خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ – الْخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ**[١٩٤]، **وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَنَتْفُ الْإِبِطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ**»[١٩٥]، وذلك لأن كثيراً من الميكروبات والطفيليَّات المؤذية، تعيش تحت الأظافر الطويلة القذرة[١٩٦].أخيراً، فقد«أثبت العلم الحديث بعد الفحص الميكروسكوبي للمزارع البكتيرية التي عُملت للمنتظمين في الوضوء ولغير المنتظمين، أن الذين يتوضؤون باستمرار، قد ظهر الأنف – عند غالبيتهم – نظيفاً طاهراً خالياً من الميكروبات، ولذلك جاءت المزارع البكتيرية التي أجريت لهم خالية تماماً من أي نوع من الميكروبات، في حين أعطت أنوف من لا يتوضؤون مزارع ميكروبية ذات أنواع متعددة، وبكميات كبيرة من الميكروبات الكروية والعنقودية شديدة العدوى، والكروية السبحية السريعة الانتشار، والميكروبات العضوية التي

تسبب العديد من الأوبئة والأمراض، وقد ثبت أن التسمم الذاتي يحدث من جراء نمو الميكروبات الضارة في تجويفي الأنف ومنهما إلى داخل المعدة والأمعاء، ولإحداث التهابات وأمراض متعددة، لا سيما عندما تدخل الدورة الدموية، لذلك شرع الاستنشاق والاستنثار بصور متكررة ثلاث مرات في كل وضوء»[١٩٧].تلكم نبذة ضئيلة من منهج الهدي النبوي التي اتسع المجال لذكرها في باب مكافحة الأوبئة والأمراض والوقاية منها، ومن الملاحظ أن هذا الهدي الرفيع لم يترك صغيرة ولا كبيرة في هذا الباب إلا وطرقها، وأكد عليها، ولو طبقنا هذا الهدي لكانت البيئة الإسلامية أشد طهارة ونقاوة في الوجود، ولأصبح مظهر المسلمين أنظف وأطهر مظهر بين كافة الأمم والشعوب، وصدق النبيﷺ عندما قال:«**إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ، فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ، وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ، حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ**»[١٩٨]، وهذه هي«علامات البيئة الصحية الإسلامية: إنسان نظيف، ومسكن نظيف، وطعام نظيف، وشراب نظيف، في مدن مرتبة ونظيفة»[١٩٩].ولا ريب في أن هذا الهدي النبوي كان هو الدافع الأساس لبعض الأوربيين، الذين احتكوا بالعرب في عصور ازدهار الدِّين الحنيف في الأندلس أو الشرق أثناء الحروب الصليبية، إلى خوض غمار تأليف مئات الكتب التي يقرون فيها أن المدن الإسلامية، مثل: بغداد، ودمشق، والقاهرة، كانت – وبحق – تعتبر من أنظف مدن الدنيا قاطبة، وهي أول مدن في التاريخ مهدت شوارعها، ورُصفت، وأُضيئت، كما أنهم قد اعترفوا بأن العرب كان لديهم نظام للعزل الصحي، والمراقبة الصحية، ولم تحدث لديهم أوبئة...، ويشير برنارد شو – في هذا السياق – إلى أنه عندما ابتدأت بريطانيا في استعمار العالم الإسلامي عملت على إجبار سكان بعض الجزر على ترك الإسلام، فما أن نجحت في ذلك حتى ابتدأت الأوبئة الفتاكة تظهر بينهم وتقضي عليهم، بسبب تركهم لتعاليم الإسلام التي كانت تأمرهم بالطهارة والنظافة في كل شيء، إلى حد التدقيق على تقليم الأظافر[٢٠٠].

– حواشي الفصل الثاني:

[١] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ٢٠٢/٢.

[٢] التغابن: ١١.

[٣] هو: علقمة بن قيس بن عبدالله بن مالك النخعي، الهمداني، أبو شبل: تابعي، كان فقيه العراق، توفي بالكوفة في سنة ٦٢هـ.

[٤] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري**، ٤٢١/٢٣.

[٥] الحديد: ٢٣، ٢٤.

[٦] انظر: القرضاوي، **الصبر في القرآن الكريم**، ص١٠٦.

[٧] المرجع نفسه.

[٨] أي: لم يصبر على الألم.

[٩] أي: قطع.

[١٠] أي: لم ينقطع، ولم يسكن.

[١١] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذُكر عن بني إسرائيل، ح:(٣٤٦٣)، مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل نفسه، وإن من قتل نفسه بشيء عُذب به في النار، ح:(١١٣).

[١٢] أي: يبتله بالمصائب، ليطهره من الذنوب في الدنيا، فيلقى اللهعَزَّوَجَلَّ نقياً.

[١٣] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفَّارة المرض، ح:(٥٦٤٥).

[١٤] الترمذي، **جامع الترمذي**، كتاب القدر، باب: ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، ح: (٢١٤٤).

[١٥] مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، ح:(٢٩٩٩).

[١٦] انظر: البكري، **دليل الفالحين**، ١٥٥/١.

[١٧] البقرة: ١٥٦، ١٥٧.

[١٨] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الجهاد والسير، باب: ما يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، ح:(٢٩٩٦).

[١٩] أي: طيب ثناءه في الناس.

[٢٠] البخاري، **الأدب المفرد**، باب: يكتب للمريض ما كان يعمل وهو صحيح، ح:(٥٠١).

[٢١] ابن حنبل، **المسند**، ح:(١٣٧١٢).

(٢٢) الطبراني، **المعجم الأوسط**، ح:(٢٣١٧).

(٢٣) الحفظة: الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم، قال اللهعَزَّوَجَلَّ: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ[الأنعام: ٦١].

(٢٤) أي: قيدي.

(٢٥) ابن حنبل، **المسند**، ح:(٦٨٧٠).

(٢٦) انظر: المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ٢٤٣/٦.

(٢٧) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المرضى، باب: أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأول فالأول، ح:(٥٦٤٨)، مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، ح:(٢٥٧١).

(٢٨) مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، ح:(٢٥٧٢).

(٢٩) أي: تعب.

(٣٠) أي: مرض.

(٣١) أي: أسى على ما حصل له من مكروه في الماضي.

(٣٢) أي: يدخلها غيره في جسده.

(٣٣) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، ح:(٥٦٤١، ٥٦٤٢)، مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، ح:(٢٥٧٣).

(٣٤) سالم، **مع المرضى**، ص١٧.

(٣٥) مالك، **الموطأ**، كتاب العين، باب: ما جاء في أجر المريض، ح:(٥).

(٣٦) الباجي، **المنتقى شرح الموطأ**، ٢٥٩/٧.

(٣٧) ابن ماجه، **السنن**، كتاب الفتن، باب: الصبر على البلاء، ح:(٤٠٣١).

(٣٨) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، ح:(٥٦٤١، ٥٦٤٢)، مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، ح:(٢٥٧٣).

(٣٩) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ١٠٥/١٠.

(٤٠) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفَّارة المرض، ح:(٥٦٤٥).

(٤١) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ١٠٨/١٠.

(٤٢) انظر: المصدر نفسه.

(٤٣) الخامة: الغض الرطب من النبات الذي أول هو ما ينبت.

(٤٤) أي: تميلها.

(٤٥) أي: ترفعها.

(٤٦) الأرزة: شجرة الصنوبر، وهي تُعتبر من أشد الأشجار قوة وصلابة.

(٤٧) أي: قائمة لا تلين.

(٤٨) أي: انقلاعها.

(٤٩) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، ح:(٥٦٤١).

(٥٠) النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ١٥٣/١٧.

(٥١) تجب الإشارة إلى أنه إذا كان الأصل في وباء الطاعون أنه ينقل العدوى إلى الغير، فإنه لا يجوز عيادة الفرد المصاب في داره، وذلك حفاظاً على سلامة الأفراد من الإصابة بهذا الوباء المهلك ونقله إليهم، ولكن إذا توفرت الوسائل اللازمة، وأخذ بالاحتياطات المطلوبة المانعة من نقل العدوى إلى العائد غير المصاب بالوباء، فينبغي الاستفادة منها، وبالتالي يكون تعامل الأخير مع الفرد المصاب طبيعياً.

(٥٢) مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب السلام، باب: حق المسلم للمسلم رد السلام، ح:(٢٥٦٢).

(٥٣) هو: ثوبان بن يجدد، أبو عبدالله: مولى النبيﷺ، أصله من السراة(بين مكة واليمن)، اشتراه النبيﷺ، ثم أعتقه، فلم يزل في يخدمه إلى أن مات، فخرج ثوبان إلى الشام، فنزل الرملة في فلسطين، ثم انتقل إلى حمص فابتنى داراً، وتوفي بحمص في سنة ٥٤هـ.

(٥٤) الخرفة: اسم ما يخترف من النخل حين يدرك.

(٥٥) مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب: فضل عيادة المريض، ح:(٢٥٦٨).

(٥٦) القرضاوي، **الصبر في القرآن الكريم**، ص٩٨.

(٥٧) الترمذي، **جامع الترمذي**، كتاب الطب، ح: (٢٠٨٧).

(٥٨) المناوي، **فيض القدير**، ٣٤٠/٦.

(٥٩) الصنعاني، **التنوير شرح الجامع الصغير**، ٤١/٢.

(٦٠) سالم، **مع المرضى**، ص٣٨، ٣٩.

(٦١) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الطب، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، ح:(٥٦٧٨).

(٦٢) مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب السلام، باب: لكل داء دواء واستحباب التداوي، ح:(٢٢٠٤).

(٦٣) أبو داود، **السنن**، كتاب الطب، باب: في الرَّجل يتداوى، ح:(٣٨٥٥).

(٦٤) الطبراني، **المعجم الأوسط**، ح:(١٥٦٤).

(٦٥) ابن حنبل، **المسند**، ح:(٣٩٢٢).

(٦٦) هو: علي بن سلطان محمد الهروي، القاري، الحنفي، نور الدين: عالم مشارك في أنواع من العلوم. ولد بهراة، ورحل إلى مكة، واستقر بها إلى أن توفي في سنة ١٠١٤هـ. من تصانيفه الكثيرة: شرح الرسالة القشيرية في التصوف، وأنوار القرآن وأسرار الفرقان.

(٦٧) القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ٢٨٦٠/٧.

(٦٨) ابن ماجه، **السنن**، كتاب الأحكام، باب: من بنى في حقه ما يضر بجاره، ح:(٢٣٤١).

(٦٩) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الطب، باب: رقية النبيﷺ، ح:(٥٧٤٢).

(٧٠) سالم، **مع المرضى**، ص٣٦.

(٧١) الطبراني، **المعجم الأوسط**، ح:(٦٠٢٧).

(٧٢) أي: طالباً بذلك وجه اللهعَزَّوَجَلَّ وثوابه، لا رياء، ولا سمعة.

(٧٣) أبو داود، **السنن**، كتاب الجنائز، باب: في فضل العيادة على وضوء، ح:(٣٠٩٧).

(٧٤) الفنجري، **الطب الوقائي في الإسلام**، ص٣٩.

(٧٥) الباس: الشدة من ألم المرض ونحوه.

(٧٦) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المرضى، باب: دعاء العائد للمريض، ح:(٥٦٧٥)، مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، ح:(٢٧٣٢).

(٧٧) مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، ح:(٢٧٣٢).

(٧٨) النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ٤٩/١٧.

(٧٩) مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، ح:(٢٧٣٢).

(٨٠) القاضي عياض، **إكمال المُعْلِم بشرح مسلم**، ٢٢٨/٨.

(٨١) الزمر: ١٠.

(٨٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٧٢٠.

[٨٣] أبو داود، **السنن**، كتاب الجنائز، باب: الأمراض المكفِّرة للذنوب، ح:(٣٠٩٠).

[٨٤] الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب الجنائز، ح:(١٢٧٤).

[٨٥] هو: عمران بن حصين بن عبيد، أبو نجيد الخزاعي: صحابي كان من علمائهم، وتوفي بالبصرة في سنة ٥٢هـ.

[٨٦] هو: مطرف بن عبدالله بن الشخير الحرشي، العامري، أبو عبدالله: زاهد من كبار التابعين، كان ثقة في ما رواه من الحديث، ولد في حياة النبيﷺ، ثم كانت إقامته ووفاته بالبصرة في سنة ٨٧هـ.

[٨٧] مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب الحج، باب: جواز التمتع، ح:(١٢٢٦).

[٨٨] النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ٢٠٦/٨.

[٨٩] القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ٣٩٠/٣.

[٩٠] قال الصنعاني عن الصلاة:«إنها مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة للداء، مقوية للقلب، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، منشطة للجوارح، ممدة للقوى، شارحة للصدر، مغذية للروح، منورة للقلب، مبيضة للوجه، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مبعدة للشيطان، مقربة من الرحمن». الصنعاني، **التنوير شرح الجامع الصغير**، ٢٩٦/٨، كما ذهب المناوي إلى أن«للصلاة تأثيراً عجيباً في حفظ صحة القلب والبدن وقواهما، ودفع المواد الرديئة عنهما، لا سيما إذا وفيت حقها من التكميل، فما استدفعت أذى الدارين، واستجلبت مصالحهما بمثلها وسرها، إنها صِلة بين العبد وربه، وبقدر الوصلة يفتح الخير، وتفاض النعم، وتدفع النقم». المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ٥٢٧/٤.

[٩١] هو: بلال بن رباح الحبشي، أبو عبدالله: صحابي، كان مؤذن النبيﷺ، توفي بدمشق في سنة ٢٠هـ.

[٩٢] أبو داود، **السنن**، كتاب الأدب، باب: في صلاة العتمة، ح:(٤٩٨٥).

[٩٣] النسائي، **المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي**، كتاب عِشْرة النساء، باب: حب النساء، ح:(٣٩٣٩).

[٩٤] هو: حذيفة بن اليمان العبسي(واليمان لقبه واسمه: حُسَيْل ويقال حسل)، أبو عبدالله: من كبار الصحابة، وصاحب سرّ النبيﷺ، توفي بالمدائن في سنة ٣٦هـ.

[٩٥] أبو داود، **السنن**، كتاب الصلاة، باب: وقت قيام النبيﷺ من الليل، ح:(١٣١٩).

[٩٦] النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ٤٨/١٧.

[٩٧] البقرة: ٤٥.

[٩٨] قيل:«المراد بالصبر في هذه الآية الصوم»، قاله مجاهد. انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، ٣٧٢/١.

[٩٩] الصنعاني، **التنوير شرح الجامع الصغير**، ٢٩٦/٨

[١٠٠] القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ٣٩٠/٣.

[١٠١] البقرة: ٤٥.

[١٠٢] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري**، ٦٢/١.

[١٠٣] هو: النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي، الأنصاري، أبو عبدالله: صحابي، أمير، من أهل المدينة، وقد قُتل بحمص في سنة ٦٤هـ.

[١٠٤] ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار**، رقم:(٣٤٧٢٤).

[١٠٥] غافر: ٦٠.

[١٠٦] أبو داود، **السنن**، كتاب الوِتر، باب: الدعاء، ح:(١٤٧٩).

[١٠٧] الترمذي، **جامع الترمذي**، كتاب الدعوات، باب: ما جاء في فضل الدعاء، ح:(٣٣٧١).

[١٠٨] النجدي، **تطريز رياض الصالحين**، ص٨٠٦.

[١٠٩] الترمذي، **جامع الترمذي**، كتاب الدعوات، باب: ما جاء في فضل الدعاء، ح:(٣٣٧٠).

[١١٠] الحجرات: ١٣.

[١١١] الصنعاني، **التنوير شرح الجامع الصحيح**، ٢٤١/٩.

[١١٢] الترمذي، **جامع الترمذي**، كتاب الدعوات، باب: ما جاء في جامع الدعوات عن النبيﷺ، ح:(٣٤٧٩).

[١١٣] الأعراف: ٥٥.

[١١٤] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المرضى، باب: من دعا برفع الوباء والحمى، ح:(٥٦٧٧)، مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب الإمارة، باب: الترغيب في سكن المدينة، والصبر على لأوَائِها، ح:(١٣٧٦).

[١١٥] أبو داود، **السنن**، كتاب الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح، ح:(٥٠٧٤).

[١١٦] الترمذي، **جامع الترمذي**، كتاب الدعوات، ح: (٣٥٥٨).

[١١٧] ابن ماجه، **السنن**، كتاب الدعاء، باب: الدعاء بالعفو والعافية، ح:(٣٨٤٨).

[١١٨] أبو داود، **السنن**، كتاب الجنائز، باب: الأمراض المكفِّرة للذنوب، ح:(٣٠٩٠).

[١١٩] هو: العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشي، عم النبيﷺ، أبو الفضل: ولد قبل النبيﷺ بسنتين، وقد حضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم، توفي بالمدينة في سنة ٣٢هـ.

[١٢٠] الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح، والذِّكر، ح:(١٩٣٩).

[١٢١] أبو داود، **السنن**، كتاب الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح، ح:(٥٠٨٨).

[١٢٢] ابن قيم الجوزية، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، ص٧٧.

[١٢٣] الأنفال: ٣٣.

[١٢٤] أبو داود، **السنن**، كتاب الصلاة، باب: في الاستغفار، ح:(١٥١٨).

[١٢٥] الطلاق: ٢.

[١٢٦] نوح: ١٠.

[١٢٧] المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ٨٢/٦.

[١٢٨] القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ١٦٢١/٤.

[١٢٩] ابن ماجه، **السنن**، كتاب الأدب، باب: الاستغفار، ح:(٣٨١٨).

[١٣٠] الشوكاني، **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين**، ٢٩٤.

[١٣١] التحريم: ٨.

[١٣٢] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ٤٩٧/٢.

[١٣٣] الروم: ٤١.

[١٣٤] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الحيل، باب: ما يُكْرَهُ من الاحتيال في الفرار من الطاعون، ح:(٦٩٧٤)، مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب السلام، باب: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، ح:(٢٢١٨).

[١٣٥] ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ٣٣٢/٤، ٣٣٣.

[١٣٦] الأنفال: ٥٣.

[١٣٧] الرعد: ١١.

[١٣٨] ابن قيم الجوزية، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء**، ص٧٤.

[١٣٩] أي: ظلم.

[١٤٠] ابن حجر العسقلاني، **بذل الماعون في فضل الطاعون**، ص٣١٥.

[١٤١] المصدر نفسه، ص١٧١.

[١٤٢] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الطب، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، ح:(٥٦٧٨).

[١٤٣] مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب السلام، باب: لكل داء دواء واستحباب التداوي، ح:(٢٢٠٤).

[١٤٤] أبو داود، **السنن**، كتاب الطب، باب: في الرَّجل يتداوى، ح:(٣٨٥٥).

[١٤٥] ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ص١٤/٤.

(١٤٦) المصدر نفسه، ص١٥/٤.

(١٤٧) انظر: ابن قيم الجوزية، **الطب النبوي**، ص١٠٦، ١٠٧.

(١٤٨) من المفيد الإشارة إلى أن الطبيب ابن خاتمة(ت٧٧٠هـ) قد انطلق – للمحافظة على النظام الصحي والغذائي عامة، وللمريض خاصة – من الاعتبار الطبي القائل بأن البقاء على قيد الحياة مرتهن بستة أمور، هي:

– **الأمر الأول: الهواء**: وحلّه بسيط، فرش البيوت بالرياحين..، والمواظبة على شمّها، وشم الأرج، وأزهار البنفسج.

– **الأمر الثاني: الحركة والسكون**: فبما أن الإكثار من الحركة يتطلب استنشاق كميات أكبر من الهواء، فإنه يكون شعار المتحرز الميل للسكون..، والاعتدال في ممارستها أكثر ما يمكن إذا كان لا بُد منها.

– **الأمر الثالث: الأطعمة والأشربة**: والمطروح عموماً اجتناب الأطعمة الثقيلة والغنية، مثل: العصايد، والثرايد، والإسفنج، والكعك، والمجبّنات، وتعويض خبز الذرة بخبز الشعير، والإقلاع تماماً عن اللحوم، أو على الأقل الاقتصار على لحوم الحيوانات الصغيرة العمر، مع طبخها بخل الليم(العسل)..، ويوصى أخيراً بعدم الشبع، وبعدم النوم مباشرة مع الأكل.

– **الأمر الرابع: النوم واليقظة**: والمطلوب الاقتصار على النوم ليلاً، لأنه أصلح النوم، على أن يكون ذلك في الأماكن الشمالية التي تخترقها الرياح.

– **الأمر الخامس: الاستفراغ والاحتقان**: ومن الضروري **أولاً** العمل على إخراج أقصى ما يمكن من الفضلات وبأسرع ما يمكن، وهو ما يسمى بـ«تسهيل الطبع»، ولا يكون ذلك إلا بالإفراط في تناول العصير والأشربة، ثم لا بد **ثانياً** من التخلص من الاحتقان بالاعتماد على تخفيف الدم بشق العروق والحجامة، أما **ثالثاً**، فيكون بممارسة الجماع والإنزال لما فيهما من فوائد، شريطة أن يقع ذلك دون استدعاء أو تكلف، بقصد الإثارة المتعمدة، ودون تكليف النفس أكثر من وسعها، بعدم احترام مقتضيات السن، أو بإنهاك الجسم كداً وجهداً...، أما **رابعاً**، فيكون بالمحافظة على نظافة الجسم، وبالإكثار من الاستحمام.

– **الأمر السادس: المشاعر والأعراض النفسانية**: وذلك يكمن في بسط النفس وإدخال المسرّات عليها، بالإقبال – مثلاً – على كتب التاريخ، وخصوصاً أخبار الفكاهات، ومناشدة الأشعار الغزلية...، هذا، وقد اعتبر – كفقيه أديان، وطبيب أبدان – أنه لا جليس أحسن من كتاب اللهعَزَّوَجَلَّ، وذلك سعياً إلى توفير الاطمئنان للنفس، وإلى ترويضها على القبول بالموت دون خوف أو وجل، وقد نبّه ابن خاتمة – في ختام هذه القائمة الطويلة – إلى ضرورة التمسك بمصابيح الدنيا دون التفريط بمصابيح الآخرة، أي أن لا يفضي استفراغ الجهد في التحفظ والاحتراز بالعبد إلى حلّ يده عن التوكل طرفة عين.

انظر في ذلك: بوجرة، **الطاعون وبدع الطاعون**(الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير)، ص٤٥٣، ٤٥٤.

(١٤٩) انظر: عبدالله، **الطب الوقائي في الإسلام**، ص٣٧. من المفيد الإشارة إلى أن سلفنا النَّداسى قد أسهوا إسهاماً عظيماً في الكشف عن علاج كثير من الأوبئة، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١– ابن سينا(ت ٤٢٨هـ): وحديثه عن تلوث المياه بشكل عام، وأثرها في انتشار الأوبئة.

٢– عبدالملك بن زهر(ت ٥٥٧هـ): وبيانه موضوع فساد الهواء، وعلاقته بالأوبئة.

3 – الكندي(ت ٢٥٢هـ): ورسالته في الأدوية من الروائح المؤذية والضارة.

٤ – ابن خلدون(ت ٨٠٨هـ): واعتباره إفساد الهواء من أسباب كثرة الوفاة.

(١٥٠) ابن قيم الجوزية، **الطب النبوي**، ص١٠.

(١٥١) ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ص١١/٤.

(١٥٢) كنعان، **المنهج الوقائي في الإسلام**، ص١٧.

(١٥٣) الاستحداد: حلق العانة، وقد سُمي استحداداً لاستعمال الحديدة – وهي: الموسى – والمراد بالعانة: الشَّعر الذي فوق ذَكَر الرَّجل وحواليه، وكذلك الشَّعر الذي حوالي فرْج المرأة.

(١٥٤) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب اللباس، باب: قصّ الشارب، ح:(٨٥٨٩)، مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب الطهارة، باب: خصال الفطرة، ح:(٢٥٧).

(١٥٥) البراجم: جمع برجمة، وهي: عقد الأصابع ومفاصلها كلها.

(١٥٦) أي: الاستنجاء بالماء.

(١٥٧) مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب الطهارة، باب: خصال الفطرة، ح:(٢٦١).

(١٥٨) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الجمعة، باب: هل على من لم يشهد الجمعة غُسل؟، ح:(٨٩٧).

(١٥٩) لعلَّ من أهم وظائف الجلد أنه«يقي البدن ويحفظه من المخرشات الآلية والجرثومية بما يفرزه من طلاء دهني واقٍ، كما أنه يعتبر حصن الدفاع الأول ضد الجراثيم». متولي، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنَّة النبوية**، ص٨٩٧.

(١٦٠) انظر: متولي، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنَّة النبوية**، ص٨٩٨.

(١٦١) انظر: الآلا، **الإسلام دين الاجتماع**، ص٦٧.

(١٦٢) هو: جيرمي بنتام، فيلسوف ومصلح قانوني واجتماعي إنكليزي. ولد بلندن في سنة ١٧٤٨م، وقد كان لمحاولاته حلّ المشكلات الاجتماعية – بطريقة علمية – الأثر الأكبر في الفكر الإصلاحي في القرن التاسع عشر، وتُعرف فلسفته بالبنتامية، وخلاصتها: إن المتعة هي غاية الحياة الأساسية، وإن هدف القانون هو تحقيق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس، توفي في سنة ١٨٣٢م. من أشهر مؤلفاته: مقدمة لأصول الأخلاق والتشريع.

(١٦٣) الآلا، **الإسلام دين الاجتماع**، ص٦٧.

(١٦٤) كنعان، **المنهج الوقائي في الإسلام**، ص١٧.

(١٦٥) المرجع نفسه، ص١٨. هذا، من المعلوم لدى الأطباء أن«الطعام والشراب متى هضما داخل الجسد، وانفصل منهما الجزء النافع، منتشراً في البدن، وجهدت الطبيعة في تحويله إلى الدم، ومزجه بجميع أجزائه، وانحدر الثفل(هو: ما يتبقى من المادة بعد عصرها أو إغلائها) إلى أسفله للخروج، فإذا بادر للخروج، أو ظهر علامة عليه، كالريح مثلاً، تحصل – عندئذ – حركة عمومية تعم جميع أخلاطه، ويعرض له بعض فتور خفي لا يشعر الفرد به، وإرخاء للأعصاب، ونتيجة ذلك هو تعب الأعصاب، واضطراب الطبيعة، وانتشار الأبخرة على ظاهر الجسد، لا سيما الأطراف المعرضة للغبار والأوساخ. إن الحكمة من مشروعية الوضوء، في الدِّين الحنيف، إنما هي لإزالة تلك الأبخرة التي لو تكاثفت على تلك الأطراف بسبب الوسخ، والغبار، والعرق المنفر من مسام(منافذ العرق في البدن) الجلد، لسدت مسامها، وحجزت التنفس». الآلا، **الإسلام دين الاجتماع**، ص٦٧.

(١٦٦) أي: يكفيه الوضوء لجميع الصلوات.

(١٦٧) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الوضوء، باب: من الكبائر أن لا يستتر من بوله، ح:(٢١٤).

(١٦٨) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الوضوء، باب: المضمضة في الوضوء، ح:(١٦٤)، مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب الطهارة، باب: صفة الوضوء وكماله، ح:(٢٢٦).

(١٧٠) ابن حنبل، **المسند**، ح:(٥٩٦٥).

(١٧١) يشوص: يمره على أسنانه، ويدلكها به.

(١٧٢) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الوضوء، باب: السواك، ح:(٢٤٥)، مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب الطهارة، باب: بيان السواك، ح:(٢٥٥).

(١٧٣) ابن حنبل، **المسند**، رقم:(١٧٣٥).

(١٧٤) انظر: متولي، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم، والسنَّة النبوية**، ص٩٠٥، ٩٠٦.

(١٧٥) انظر: الفنجري، **الطب الوقائي في الإسلام**، ص٢٤.

(١٧٦) انظر: سابق، **فقه السنَّة**، ص٤٥، ولنورد حقيقة مدهشة – في هذا الباب – اكتشفها رودات الذي كان يعمل مديراً لمعهد الجراثيم بجامعة ردستوك، فيقول:«قرأت عن السواك الذي يستعمله العرب كفرشاة للأسنان في كتاب الرحالة، وقد عرض الأمر بشكل ساخر اتخذه دليلاً على تأخر هؤلاء القوم الذين ينظفون أسنانهم بقطعة من الخشب في القرن العشرين، ثم فكرت لماذا لا يكون وراء هذه القطعة الخشبية حقيقة علمية؟، وجاءت الفرصة سانحة عندما أحضر زميل لي من العاملين في حقل الجراثيم في السودان أعواداً من تلك الأعواد الخشبية، وفوراً بدأت أبحاثي عليها، فسحقتها وبللتها، ووضعت المسحوق المبلل على مزارع جرثومية، فظهرت المزارع كأنما وُضع عليها البنسلين، وإذا كان الناس قد استعملوا فرشاة الأسنان من مائتي عام، فلقد استخدم المسلمون السواك من أكثر من ١٤ قرناً من الزمان، ولعلَّ إلقاء

نظرة على التركيب الكيميائي لمسواك الأراك يجعلنا ندرك أسباب الاختيار النبوي الكريم». متولي، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم، والسنَّة النبوية**، ص٩٠٦، ٩٠٧.

(١٧٧) الفنجري، **الطب الوقائي في الإسلام**، ص٢٤، ٢٥.

(١٧٨) الاستنشاق : إدخال الماء في الأنف.

(١٧٩) الاستنثار: إخراج الماء من الأنف بالنفس.

(١٨٠) مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب الطهارة، باب: الإيتار في الاستنثار والاستجمار، ح:(٢٣٧).

(١٨١) غراً جمع أغر، أي: ذو غرة، وأصل الغرة لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس، ثم استعملت في الشهرة وطيب الذِّكر، والتحجيل: بياض يكون في قوائم الفرس، وأصله من الحجل، وهو الخلخال، والمعنى: أن النور يسطع من وجوههم، وأيديهم، وأرجلهم يوم القيامة، وهذا من خصائص هذه الأمة التي جعلها اللهعَزَّوَجَلَّ شاهدة على الناس جميعهم.

(١٨٢) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الوضوء، باب: فضل الوضوء، والغر المحجلون من آثار الوضوء، ح:(١٣٦)، مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب الطهارة، باب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ح:(٢٤٦).

(١٨٣) المسامات مفردها، وهي: منافذ العَرَق في البدن.

(١٨٤) الترمذي، **جامع الترمذي**، كتاب الطهارة، باب: في تخليل الأصابع، ح:(٣٩).

(١٨٥) هو: المستورد بن شداد بن عمرو القرشي، الفهري، صحابي، من أهل مكة، سكن الكوفة مدة، وشهد فتح مصر، توفي بالإسكندرية في سنة ٤٥هـ.

(١٨٦) الترمذي، **جامع الترمذي**، كتاب الطهارة، باب: في تخليل الأصابع، ح:(٤٠).

(١٨٧) هو: عبدالله بن زيد بن عاصم بن كعب النجاري، الأنصاري: صحابي، من أهل المدينة، كان شجاعاً، وقد شهد بدراً، كما قام بقتل مسيلة الكذاب يوم اليمامة، ثم قُتل في وقعة الحرة في سنة ٦٣هـ.

(١٨٨) ابن حبان، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، كتاب الطهارة، باب: سنن الوضوء، ذِكر استحباب دلك الذراعين للمتوضئ في وضوئه، ح:(١٠٨٢).

(١٨٩) إن«تدليك هذه النقاط يتسبب في إفراز مادة الإندروفين، وهي مادة المورفين المسكنة بقوة الآلام الطبيعية الداخلية، وبالتالي، فإنها تجعل الفرد يشعر بالاسترخاء، فضلاً عن تخلصه من التوتر والغضب». متولي، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم، والسنَّة النبوية**، ص٩٠١.

(١٩٠) لقد أكد أحد العلماء الأمريكيين على أن للماء قوة سحرية، بل إن رذاذ الماء على الوجه واليدين(يعني الوضوء) هو أفضل وسيلة للاسترخاء، وإزالة التوتر. انظر: متولي، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم، والسنَّة النبوية**، ص٨٩٩.

(١٩١) من المفيد الإشارة إلى أنه من الحقائق الطبية أن الدورة الدموية في أطراف الجسم عند اليدين والرجلين هي أقل منها في بقية أعضاء الجسم، وذلك بسبب بُعد هذه الأطراف عن مركز ضخ الدم – وهو القلب – وقد ثبت أن غسل هذه الأطراف وتدليكهما جيداً بانتظام يقوي الدورة الدموية، ويزيد من نشاط الجسم ومناعته، كما تبيّن أيضاً مدى التأثير الجيد للماء على الفرد المسلم أثناء الوضوء في إزالة التوتر والقلق، لذلك يشعر هذا الفرد – أثناء وضوئه – بالطمأنينة، وهذا أحد أسرار الوضوء. انظر: متولي، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم، والسنَّة النبوية**، ص٨٩٩.

(١٩٢) متولي، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم، والسنَّة النبوية**، ص٨٩٨.

(١٩٣) تقليم الأظفار: تفعيل من القلم، وهو القطع.

(١٩٤) الاستحداد: حلق العانة، وقد سُمي استحداداً لاستعمال الحديدة – وهي: الموسى – والمراد بالعانة: الشَّعر الذي فوق ذَكَر الرَّجل وحواليه، وكذلك الشَّعر الذي حوالي فرْج المرأة.

(١٩٥) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب اللباس، باب: قصّ الشارب، ح:(٨٥٨٩)، مسلم، **الجامع المسند الصحيح**، كتاب الطهارة، باب: خصال الفطرة، ح:(٢٥٧).

(١٩٦) الفنجري، **الطب الوقائي في الإسلام**، ص٣٣، ٣٤.

(١٩٧) المرجع نفسه. ص٣٢.

(١٩٨) أبو داود، **السنن**، كتاب اللباس، باب: ما جاء في إسبال الإزار، ح:(٤٠٨٩).

(١٩٩) الفنجري، **الطب الوقائي في الإسلام**، ص٣٢

(٢٠٠) انظر: برنارد شو، **حيرة الطبيب**، ص٢.

***

- الخاتمة:

لا ريب في أن الالتزام بالهدي النبوي ومنهجه المتكامل يُسهم في الحد من ظاهرة انتشار الأوبئة والأمراض، بل والتخلص منها، فنحن كمسلمين: أفراداً وجماعات، ينبغي علينا التمسك به، والعض عليه بالنواجذ، وأن نبقى على يقين تام، وإدراك كامل أن ما جاء به هذا الهدي المنيف من إرشادات صحية قيمة لا تخالف الطب، ولا تناقض العلم.

وهاكم طائفة من الإرشادات المستخلصة من ذينك الهدي الرفيع:

- الإرشاد الأول: إرجاع الأمر كله إلى اللهعَزَّوَجَلَّ، والإيمان بقضائه وقدره، لأن في ذلك رفع للمعنويات وإعانة على علاج الجسد بالأخذ بالأسباب الشرعية.

- الإرشاد الثاني: التوكل على اللهسُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والاعتماد عليه، فذاك يعتبر جماع الإيمان، ويجب أن يكون هذا التوكل محتوياً على أمرين:

- الأمر الأول: الاعتماد على الله في السلامة من الأوبئة والأمرض.

- والأمر الثاني: الأخذ بأسباب السلامة، فليس من التوكل تعريض النفس لأسباب الوباء، ثم الطلب من الله السلامة.

- الإرشاد الثالث: الإكثار من الدعاء إلى اللهسُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والتضرع إليه، لإزالة الأوبئة والأمراض والأوجاع ونحوها، كما كان شأن النبيﷺ في كثرة رجوعه وتضرعه للهعَزَّوَجَلَّ، فذاك من الأسباب الشرعية التي شرعها الله لعباده في سنن التداوي، زيادة على الأخذ بالأسباب المادية الداعية إلى البحث عن الدواء، كما يجب الاقتداء – في هذا الباب – بنبي الله أيوب في صبره على الداء، وفي حسن دعائه له تَبَارَكَوَتَعَالَىٰبقوله:**چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ**[الأنبياء: ٨٣].

- الإرشاد الرابع: القيام برد المظالم، والتخلص من التبعات، والتوبة من العود إلى شيء من المعصية والندم على ما فات منها، إذ هي أعظم مناسبة للرجوع إلى الله قبل انسداد باب التوبة بغرغرة أو بطلوع شمس من مغربها.

- الإرشاد الخامس: الحفاظ على الأذكار التي أرشد إليها النبيﷺ وقاية من كل ضر أو شر، إضافة إلى كثرة التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، والاستغفار الذي يمنع من وقوع العذاب.

- الإرشاد السادس: بذل كل الجهد لعدم انتشار الوباء وتعديته إلى الغير، من خلال عدم الاختلاط، وعدم الخروج إلا للضرورة، لأن الإيذاء بالغير، والإضرار به – بأي طريق كان – ممنوع شرعاً.

- قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**
- الباجي، سليمان، **المنتقى شرح الموطأ**، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٣٢هـ – ١٩١٢م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل: **الجامع الصحيح المسند من أمور الرسولﷺ وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
- برنارد شو، جورج، **حيرة الطبيب**، ترجمة: عمر مكاوي، مراجعة: علي أدهم، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- البغوي، الحسين بن محمد، **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
- بوجرة، حسين، **الطاعون وبدع الطاعون**(الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقهيه والطبيب والأمير)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠٠١م.
- البيهقي، أحمد:

- **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- **شعب الإيمان**، تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد حامد، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

■ الترمذي، محمد بن عيسى، **الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ، ومعرفة الصحيح والمعلول، وما عليه العمل = جامع الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

■ التميمي، محمد، **مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء**، دراسة وتحقيق: يحيى الشعار، معهد المخطوطات العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

■ ابن الجوزي، عبدالرحمن: **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

■ الحاج أحمد، يوسف، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنَّة النبوية**، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

■ الحاكم، محمد، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

■ ابن حبان، محمد، **صحيح ابن حبان**، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

■ ابن حجر العسقلاني، أحمد: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصحَّحه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.

■ ابن حنبل، أحمد، **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

■ أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، د.ط، د.ت.

■ الرازي، محمد، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

■ رضا، محمد، **الفاروق عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين**، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

■ سابق، سيد، **فقه السنة**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

■ سالم، عطية، **مع المرضى في صبرهم، وقدرهم، وأجرهم، وعيادتهم، وتداويهم، وعبادتهم**، مكتبة التراث، المدينة المنورة، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

■ السعدي، عبدالرحمن، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

■ أبو السعود، محمد، **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

■ السَّمْهودي، علي، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

■ ابن السنّي، أحمد، **عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عَزَّوَجَلَّ ومعاشرته مع العباد**، تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة - بيروت، د.ط، د.ت.

■ ابن سينا، الحسين، **القانون في الطب**، وضع حواشيه: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

■ السيوطي، جلال:

- **التوشيح شرح الجامع الصحيح**، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

■ الشوكاني، محمد:

- **فتح القدير**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤.
- **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين**، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

■ الصابوني، محمد، **صفوة التفاسير**، دار الصابوني، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

■ الصلابي، محمد، **سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**(شخصيته وعصره)، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

■ الصنعاني، محمد:

- **التنوير شرح الجامع الصغير**، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

– **سبل السلام في شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام**، دار الحديث، القاهرة، د.ط، د.ت.
١٩٩٦م.

- الطبراني، سليمان:

– **المعجم الأوسط**، مكتبة الحرمين، القاهرة، د.ط، د.ت.

– **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، د.ت.

- الطبري، محمد بن جرير: **جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري**، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، ٢٠14هـ-٢٠٠٠م.
- أبو العباس القرطبي، أحمد، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وغيره، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.
- عبدالله، عمر محمود، **الطب الوقائي في الإسلام**، مطبعة الزهراء، الموصل، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- عبدالله، رمزي إبراهيم، **طاعون عمواس(١٨هـ/٦٣٨م)**، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد: ٢٠، العدد: ١، كانون الثاني، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م.
- ابن العربي، محمد، **عارضة الأحوذي في شرح الترمذي**، تحقيق: جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
- العظيم آبادي، محمد، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
- العيني، محمود، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- الفنجري، أحمد شوقي، **الطب الوقائي في الإسلام**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، د.ت.
- القاري، علي، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
- القاضي عياض، **إكمال المُعْلِم بشرح مسلم**، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- القرضاوي، يوسف، **الصبر في القرآن الكريم**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
- القرطبي، محمد، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
- القسطلاني، أحمد، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ – ١٩٠٣م.
- ابن قيم الجوزية، محمد:

– **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٧، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

– **الطب النبوي**، دار الهلال، بيروت، د.ط، د.ت.

– **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء**، دار المعرفة، المغرب، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

– **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

– **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

– **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، دار السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

- ابن كثير، إسماعيل: **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
- الكجراتي، محمد، **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط٣، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.
- الكرمي، مرعي، **ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون**، تقديم وتعليق: خالد بن العربي مدرك، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
- كنعان، أحمد، **المنهج الوقائي في الإسلام**، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الأول(تموز – أيلول)، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

- الآلا، محمد، **الإسلام دين الاجتماع**(علمي – أدبي – أخلاقي – فلسفي)، ضبطه وعلَّق عليه: ماهر عبدالمجيد عبّود، دار الرشاد، بيروت، ط١، ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م.
- لاشين، موسى شاهين، **المنهل الحديث في شرح الحديث**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد عبدالباقي، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- مالك، الإمام: **الموطأ**، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، الإمارات، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
- المباركفوري، عبيد الله، **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية بنارس الهند، ط٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
- المتقي الهندي، علاء الدين، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تحقيق: بكري حياني، وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ –١٩٨١م.
- متولي، أحمد مصطفى، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنَّة النبوية**، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥.
- مسلم بن الحجاج، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله**ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- ابن الملقن، عمر، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، دار النوادر، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
- ابن الملك، محمد، **شرح مصابيح السنة للإمام البغوي**، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، الكويت، ط١، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.
- المناوي، عبدالرؤوف:
  - **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١، ١٣٥٦هـ – ١٩٣٦م.
  - **التيسير بشرح الجامع الصغير**، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- ابن منظور، محمد، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
- **الموسوعة البريطانية**: النسخة الإلكترونية.
- **الموسوعة الطبية الحديثة**، تأليف: نخبة من علماء مؤسسة غولدن برس، هيئة الترجمة العربية: أحمد عمار، محمد أحمد سليمان، المترجمون: إبراهيم أبة النجا، عيسى حمدي المازني، لويس دوس، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، د.ط، د.ت.
- النجار، عبدالوهاب، **الخلفاء الراشدون**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- النجدي، فيصل، **تطريز رياض الصالحين**، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله بن إبراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
- النسائي، أحمد بن شعيب، **المجتبى من السنن(السنن الصغرى للنسائي)**، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٦، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- ابن النفيس، علي، **الموجز في الطب**، إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية(لجنة إحياء التراث – وزارة الأوقاف)، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- النسيمي، محمود ناظم، **الطب النبوي والعلم الحديث**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
- النووي، يحيى: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.